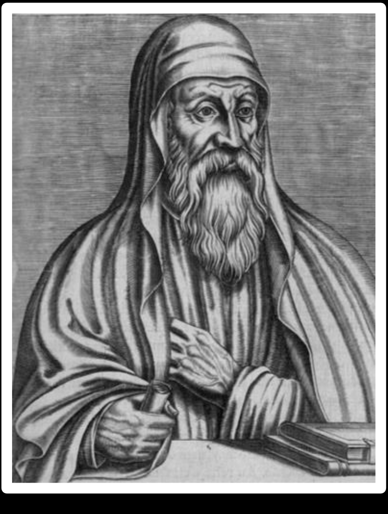

يسوع المسيح

عند العلامة أوريجينوس

القمص تادرس يعقوب ملطي

يسعدنا تلقي تعليقاتكم واقتراحاتكم بخصوص هذا الكتاب على البريد الإلكتروني التالي:
Email: notes.publications@gmail.com

العنوان: يسوع المسيح عند العلامة أوريجينوس

اعداد: القمص تادرس يعقوب ملطي

تنسيق:

تصميم الغلاف والصفحات: رفيق نصيف

أيقونة الغلاف: كيرلس قلادة

رقم الإيداع:

يسوع المسيح

عند العلامة أوريجينوس

طبعة ثانية مُعدلة
2020

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مارجرجس
اسبورتنج – الإسكندرية

مسيحنا محب البشر

تساؤل أحد الإخوة عن نظرية التدرج عند العلامة أوريجينوس، دفعني إلى إعادة نشر كتاب "يسوع المسيح عند العلامة أوريجينوس،" وهو خير إجابة على هذا التساؤل. مع كثرة المقتطفات من كتابات العلامة عن مخلصنا محب البشر في هذا الكتاب، إلا أنها تُحسب أمثلة قليلة جدًا مما حوته كتاباته عن شخص مخلصنا محب البشرية.

في هذا العمل البسيط نتلامس مع نظرة العلامة اوريجينوس للسيد المسيح وتقديم خبراته العملية في الاتحاد معه. لقد أبرزت هذه المقتطفات الآتي:

1. مسيحنا أزلي لم يوجد زمان لم يكن فيه موجودًا، لأنه لم يكن الآب بدون الابن منذ الأزل، ولم يكن في لحظةٍ ما منفصلاً عن الابن لأنه هو حكمة الله، وقوة الله (1 كو 1: 24).
2. مسيحنا بلاهوته غير محدود بمكانٍ معينٍ، مالئ السماء والأرض.
3. تجسده ونزوله إلى أرضنا كواحدٍ منّا فيه تنازل بإرادته إذ قيل: "أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل 2: 20). تنازله لم يجعل أقنومه أقل من أقنوم الآب، بل هذه مسرة الآب والروح القدس أن يعلن الابن الحب الإلهي للبشرية عمليًا خلال آلامه وصلبه وقيامته وصعوده إلى السماء. وكما قال الابن نفسه: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (يو 3 : 16)
4. تنازل من أجل تدبيره الإلهي واهتمامه بالبشرية، دون تغيّر في الجوهر، إذ هو واحد مع الآب والروح في ذات الجوهر الإلهي الواحد.
5. أكد العلامة أن مسيحنا صار إنسانًا حقيقيًا، فأكرم الإنسان في نظر السمائيين، وقدس جسدنا وحواسنا وعواطفنا مع نفوسنا وعقولنا.
6. بتجسده ربطنا به لكي يجدد طبيعتنا وينميها ويهبنا شركة الميراث الأبدي.
7. على الصليب أعلن الحب الإلهي لنا، وصلب إبليس وكل قواته، وأمات الموت، وصيّر البشرية جسده السرّي وصار هو كرأسٍ للكنيسة المقدسة.
8. لا يتوقف الخلاص عند غفران خطايانا، إنما يقدم مصالحتنا مع الثالوث القدوس. وتمتعنا بالسيد المسيح بكونه الكاهن السماوي والطبيب والمعلم، والخبز السماوي المشبع للنفس، والنور الحقيقي، حكمة الله وقوة الله، والحق الإلهي، والطريق الذي يقودنا فيه إلى حضن الآب، والملك الساكن فينا يقيم ملكوته داخلنا وبه نصير ملوكًا، والخادم الذي يفتح قلوبنا بالحب لنخدم كل إنسانٍ. إنه الكنز المخفي والفرح الحقيقي، وعريس نفوسنا، وواهب الراحة لنفوسنا، يجعلنا من أهل بيت الله، ويشبع كل احتياجاتنا.

المقتطفات التي بين يديك أيها الحبيب ليست للحوار الجدلي الجاف، وإنما لكي بالفرح والحب نقتنيه، فنسترد صورة الله فينا، وتصير حياتنا وعبادتنا حتى أفكارنا الخفية شهادة حيّة للحب الإلهي، نكسب الكثيرين برغبتهم في الالتصاق بمسيحنا محب البشر.

هذا وبمشيئة الله أرجو تكملة هذا العمل بإصدار كتابٍ عن "العلامة أوريجينوس وهرطقة التدرج بين الأقانيم الإلهية" التي تبنّاها المبتدع أريوس، وعطية التنازل بالتجسد وتحقيق تدبير الخلاص.

ما هو الدافع للكتابة عن الله الواحد بلاهوته وعن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة؟

1. مع اهتمامه بالحوار مع الهراطقة للشهادة للحق الإلهي حتى لا يتعثر المؤمنون، ولرد الهراطقة عن الخطأ ودعوته لهم بالتمتع بالعشرة العملية مع الله.

2. الرد الإيجابي العملي على الهراطقة.

3. الكشف عن دور العقيدة في حياة الكنيسة والشعب والكهنة، وهو عدم الانشغال بالحوارات العقلانية الجافة على حساب النمو المستمر والبنيان الروحي، وفي نفس الوقت عدم تجاهل عطية العقل الذي وهبه الله للإنسان مع الحاجة المستمرة لتقديسه.

4. الشعور الدائم بالحضرة الإلهية.

5. التمتع العملي بالحياة المتهللة وفرح الروح وتذوق عربون السماء ونحن بعد في الجسد وسط متاعب الحياة في العالم وتجارب ابليس التي لا تنقطع.

بركة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح تكون معنا جميعًا. آمين.

ملاحظة هامة:

كثير من آباء الكنيسة في الثلاثة قرون الأولى كانوا من الفلاسفة، لأنَّ الكنيسة كسبت بعض من الفلاسفة من مدرسة الاسكندرية الفلسفية وقبلوا الإيمان واحتفظوا بالزي الخاص بالفلاسفة وصاروا قادة ومعلمين في الكنيسة ولكن ليسوا من رجال الكهنوت، حتى يستطيعوا بهذا الزي الخاص بهم وبحديثهم الفلسفي يكسبوا الكثيرين من عبدَّة الأوثان أو مُنكري وجود الله لكي يقبلوا الإيمان، مثل أثيناغوراس أول عميد لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية والذي كانت كتاباته من الفلسفة، لأنه يتعامل مع أناس لا يؤمنون بالله ولا بالكتب المقدسة. لهذا لا نعجب أن بعض القادة كتبوا بشيء من الحرية مستخدمين تعبيرات أو ألفاظ فلسفية، حتى جاء مجمع نيقية وما بعده ليُثبِّتوا التعبيرات اللاهوتية والتي لم تكن مستخدمة قبل ذلك، وهذا باتفاق مجمع الأساقفة في العالم كله في الشرق والغرب.

يسوع المسيح[1]

1. ركَّز العلامة أوريجينوس، في كتاباته وتعاليمه، على السيد المسيح، إذ كان قلبه مشتعلاً بالحب له، ووَجَدَ فيه شبعًا لكل احتياجاته. يطالبنا أن نقبله بكونه الملكوت السماوي والخبز السماوي والكنز المخفي والطريق الإلهي والباب والحق والصخرة والقيامة والبداية والنهاية الخ.

2. اعتقد أوريجينوس أن النفس البشرية وقد انحطت من مرتبتها السماوية، بعد أن كانت حرة، وصارت **غير قادرة على استعادة أصلها بدون السيد المسيح.**

3. بحبه غير المحدود يبسط المخلص يديه للبشرية ليُضفي عليها **مجدًا أبديًا ولكن ليس قسرًا.**

4. إذ بعنا أنفسنا عبيدًا لإبليس بالخطيئة، **بذل** السيد المسيح بمحبته **دمه الثمين كثمنٍ لحريتنا.**

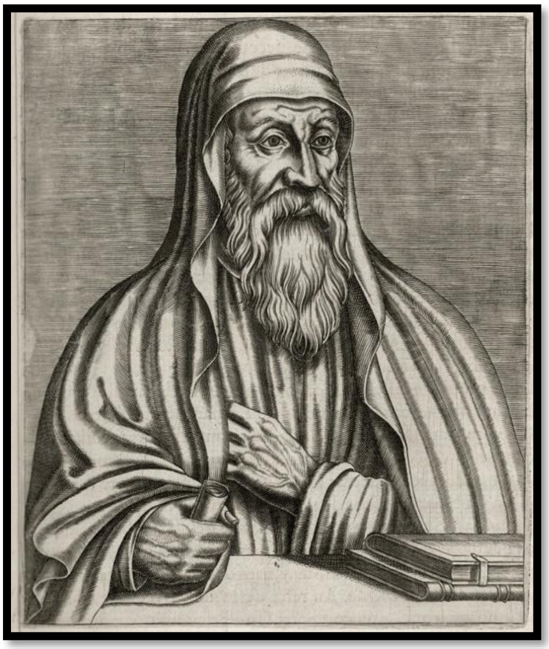

5. كمخلص للعالم هو **رئيس الكهنة والذبيحة** في نفس الوقت، يقدم حياته قربانًا فريدًا وضحيةً.

6. يسوع المسيح هو **العريس السماوي**، يعمل من أجل اقترانه الروحي بنفوسنا كعروسٍ له.

7. إنه المعلم والطبيب السماوي الوحيد الذي يشفي أرواحنا من ظلمة الجهل والفساد، مانحًا ذاته لنا، بكونه الحق والدواء والبرّ.

8. كان رجال الله في العهد القديم ينتظرون المَسيا (السيد المسيح) بفرحٍ. ويجد أوريجينوس فيه –أي العهد القديم – ربنا يسوع المسيح في كل مكان، ويرى أن **العهد القديم في مجمله لا يتكلم إلا عنه**[2].

المسيح محب البشرية

كان أوريجينوس مؤمنًا بأن ربنا يسوع المسيح هو مخلص جميع الجنس البشري[3]. السيد المسيح – الذي أحب البشر

---

[1] الفصل التاسع من كتاب *Origen* للكاتب عام 1995، بتصرف.

[2] *Job 5:46f, Rowan A. Greer: Origen, Paulist Press, 1979, page xi.*

[3] أضاف بعض النساخ لتشويه صورته أنه كان مؤمنًا بتجديد هذه الخليقة بأسرها، بما في ذلك إبليس وملائكته الأشرار.

– حتى وهم خطاة وأعداء، وبذل نفسه عنهم، يطلب أن يدخل في **علاقة شخصية مع النفس البشرية**. لذلك كثيرًا ما ينسب السيد المسيح لنفسه، معتبرًا إيّاه "مسيحه" و كان يدعوه "يسوعي" (My Jesus).

- **عبَّر الرسول (بولس) عمّا كُتِبَ عن آدم وحواء: "هذا السرّ عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف 5:32). فقد أحبها حتى بذل ذاته من أجلها. بينما كانت عاصية، إذ يقول: "لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح من أجلنا" (رو 5:8)[1].**

- **إذ قيل عن "يسوعي" إنه رُفِعَ "في مجد"، فإنني في ذلك أرى نعمة الله (لي)[2].**

[1] *Comm. on the Songs of Songs, book 2:3 (ACW).*
[2] *Contra Celsus 3:31.*

لاهوت السيد المسيح

ابن الله الأبدي

لم تنحصر شخصية الكلمة الإلهي – في رأي أوريجينوس – في نطاق دور أو مهمة عمل[1]. فالابن أقنوم Hypostasis، أي الحكمة الحيّ. هو الله جوهرًا ويقينًا. بالتالي وبالضرورة مشارك للآب في أبديته ومعادلاً له. فولادة الابن أبدية ومستمرة. فالآب يلد الابن في كل لحظة، كما يعطي النور إشعاعه على الدوام[2]. فالأبدية والاستمرارية عند أوريجينوس لا يُمكن التعبير عنها بلغة بشرية[3].

- **لم يوجد زمان لم يكن فيه (الابن). متى كان الله – الذي دعاه يوحنا النور – مجردًا عن إشـــعاع مجده، حتى يجرؤ الإنسان على تحديد بداية لوجود الابن؟ دع الإنسان الذي يتجاسر على القول بأنه كان زمان لم يكن فيه الابن، يدرك بأن قوله هذا يتســـاوى مع الادعاء بأنه – في وقت ما – لم تكن هناك حكمة ولم تكن كلمة ولم تكن حياة[4].**

- **لم تُبْرِز أي من تلك الشهادات بوضوح الميلاد الممجد للمخلص. لكن عندما تُوَجَّه إليه الكلمات: "أنت ابني. أنا اليوم ولدتك" (مز 2:7؛ مر 1:11؛ عب 1:5)، فالذي يخاطبه هو الله (الآب) الذي يكون كل الزمن بالنسبة له، هو اليوم. ليس عنده مســاء أو صــباح، بل وقت ممتد منسـجم مع حياة لا بداية لها. فاليوم عنده هو "اليوم" الذي فيه ولد ابنه. فلا وجود لبداية ميلاده ولا يوم له[5].**

- **نعترف بأن الله كان على الدوام أبًا لابنه الوحيد، الذي بالحقيقة وُلد منه، ويســـتمد كينونته خلاله. وإنما بغير بداية – ليس فقط من ذلك النوع الذي يُمَيَّز بتاريخ زمني، بل حتى من نوع آخر لا يتاح فيه للعقل وحده أن يتأمل فيه أو يدركه بواسطة الفكر المجرد أو المنطق.**

يستخدم يوحنا لغة رفيعة ورائعة في افتتاحية بشارته حين يُعرّف الكلمة بأنه الله. "وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله" (يو 1:1–2). فعلى من يحدد بداية لكلمة الله أو لحكمة الله، أن يحذر من أن يقترف شرًا تجاه الآب غير المولود ذاته. وذلك عندما ينكر أنه على الدوام كان أبًا. وإنه يلد الكلمة وله الحكمة، فيما سبق

---

[1] *R. Cadiou: Origen, Herder Book Co., 1944, p. 290.*
[2] *In Jer. hom. 9:4.*
[3] *Henri Crouzel: Origen, San Francisco 1989, p. 187.*
[4] *De Principiis 4:28; Charles Bigg: The Christian Platonists of Alexandria, p. 207-208.*
[5] *Comm. on John 1:32 (ANF).*

من أزمنة وأوقات أو كيفما تسمّى.

فهنا البداية أزلية وأبدية، مثل البهاء يصدر عن النور. فهو لا يَصِير ابنًا بوسيلة خارجية من خلال روح التبني، وإنما هو ابن بالطبيعة. والآن – كما سبق أن قلنا – فحكمة الله لا ترجع في بقائها إلا إليه، الذي هو بداية كل شيءٍ، والذي منه أيضًا كان مولدها. ولما كان هو نفسه – وهو وحده الابن بالطبيعة – هو هذه الحكمة، على هذا الأساس يُسمى أيضًا "الابن الوحيد"[1].

حكمة الله الأبدية

- ❖ **لما كانت حكمة الله، التي هي ابنه الوحيد، هي بكل المقاييس غير قابلة للتغيير أو التبديل، ولما كانت كل الصفات الصالحة فيه أساسية، ولا يمكن تغييرها أو تبديلها، فمجده على هذا الأساس يوصف بالنقاء والصدق... والآن فحكمة الله هي ذلك النور، ليس فقط بالنسبة إلى كونه نورًا، بل بكونه نورًا أبديًا. حكمته هي بالتالي بهاء لا نهائي وأزلي. إن أدركت هذه النقطة تمامًا، فهي دليل واضح على أن وجود الابن يصدر عن الأب وحده؛ ولكن ليس في زمنٍ، ولا عن أية بداية أخرى سوى الله نفسه كما قلنا[2].**
- ❖ **المسيح هو الحكمة الشاملة. أما إدراك الحكمة عند أي حكيمٍ، فهي في واقع الأمر شركة في المسيح...[3]**

لاهوته غير محدودٍ بمكانٍ

يؤكد أوريجينوس في مؤلفه "*De Principiis*" لاهوت السيد المسيح، وإن لاهوته غير محدودٍ بمكانٍ، وبالتالي ليس من تدرج، ليس من أقنوم أعظم أو أقل من آخر.

- ❖ **ربما يتساءل البعض أنه من خلال الذين يعتبرون شركاء** (عب 14:3) **في كلمة الله أو في حكمته أو الحق أو الحياة، يبدو كأن الكلمة ذاته والحكمة، محدودان في مكان بعينه. للإجابة على هذا التساؤل لابد من التأكيد أن المسيح بكونه اللوغوس والحكمة وغير ذلك، كان حالاً في بولس الذي يقول: "إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيَّ"** (2 كو 3:13)**. ويقول أيضًا: "فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ"** (غل 20:2)**. فإذًا، بما أنه كان حالاً في بولس، فمن يشك أنه أيضًا كان حالاً في بطرس وفي يوحنا وفي كل واحدٍ من القديسين. بل هو ليس فيمن هم على الأرض فحسب، بل وفي الذين في السماء أيضًا. فمن السخرية أن نقول أن المسيح كان في**

---

[1] *De Principiis 1:2:2-5 (Cf. Butterworth).*
[2] *De Principiis 1:2:11 (Cf. Butterworth).*
[3] *Comm. on John 1:34.*

بولس وفي بطرس، ولم يكن في أيٍ من رئيسيّ الملائكة ميخائيل وجبرائيل. من ذلك نكشف بوضوح أن لاهوت ابن الله لم يكن محدودًا بمكانٍ، حيث أنه لم يكن في واحدٍ دون الآخر، بل بالأحرى، أنه لم يكن محدودًا بمكانٍ نتيجة لجلال طبيعته غير الجسدية، فإذن نفهم بالتالي أنه غير غائب عن أي مكان...

ووجوده ليس بطريقة متشابهة في كل الكائنات. فهو أكمل وأكثر وضوحًا – أو بعبارة أخرى أكثر بيانًا – في رؤساء الملائكة منه في البشر القديسين. والدليل على ذلك في حقيقة أنه عند بلوغ القديسين إلى أعلى المراتب، يُقال إنهم قد صاروا "كالملائكة" أو صاروا "مساوين" للملائكة، كما هو وارد في الإنجيل (مت 30:22؛ لو 36:20). فالمسيح إذَن موجود في مختلف الناس، حسب استحقاقاتهم.

كما يُشير داود إلى سرّ الثالوث المتكامل في خلق كل شيء بقوله: "بكلمة الرب صُنعت السماوات، وبنسمة فيه كلُّ جنودها" (مز 6:33). ويشير يوحنا المعمدان إلى ما يشبه ذلك الاستنتاج، في مخاطبته للجموع بينما كان المسيح غائبًا عنهم بالجسد، إذ يقول: "في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه. هو الذي يأتي بعدي. الذي لست بمستحقٍ أن أحلّ سيور حذائه" (يو 26:1–27). فلم يكن ممكنًا ليوحنا أن يقول إن السيد المسيح قائم في وسط من لم يكن حاضرًا معهم بالجسد. لقد كان غائبًا من جهة تواجده الجسدي. من ذلك يتضح أن ابن الله موجود بالكامل في الجسد، كما هو موجود بالكامل في كل مكانٍ.

التجسد الإلهي

التجسد ولاهوت السيد المسيح

يؤكد أوريجينوس بإصرارٍ هذه الحقيقة: أن السيد المسيح وقد صار إنسانًا، مازال هو الله. فبشريته لم تضع نهاية لطبيعته الإلهية.

- **يسوع المسيح الذي جاء إلى الأرض، وُلد من الآب قبل كل الخليقة. وبعد أن صار عاملاً للآب في تأسيس كل الأشـياء - "كل شـيءٍ به كان" (يو 1: 3) - أخلى ذاته وصـار بشـرًا بالرغم من كونه الله. أي "مع صـيرورته إنسانًا استمر على ما كان عليه"، أي استمر الله.**

  أخذ لنفسه جسدًا مثل جسدنا، واختلف فقط في أنه قد وُلد من عذراء ومن الروح القدس.

  يسوع المسيح هذا وُلد وتألم حقًا وليس بالمظهر. ومات بالحقيقة موتنا تمامًا. وقام أيضًا بالحقيقة من الموت... وأُصْعِدَ بعد قيامته إلى السماء [1].

- **اسمع أيضًا ما يقوله بولس: "أنتم فلاحة الله، بناء الله" (1 كو 9:3). فما هو إذًن ذلك المَقْدِس الذي لم يُصنع بيدٍ بشـــرية، بل أَعدَّتهُ يد الله؟ فلنصـــغ إلى ما تقوله الحكمة: "الحكمة بَنَتْ بيتها" (أم 9: 1). اعتقد أنه من الممكن فهم ذلك بأكثر دقةٍ في التجســد الإلهي، الذي لم يحدث بزرع بشــرٍ. أي أن هيكل الجســد لم يُبنَ من العذراء بواســطة عملٍ بشـريٍ. بل كما تنبأ دانيال: "قُطِعَ حجر بغير يدين، وصــار جبلاً عظيمًا (دا 2:34-35). هذا هو المقدس الذي للجســد الذي (قُطِعَ) من جبل الطبيعة البشــرية ومن المادة الجســدية (بغير يدين)، أي بدون عملٍ بشريٍ [2].**

تحت عنوان "**الله: غير المتغير لكنه مُفْعَم بالحياة**" يعالج *Joseph C. McLelland* رأي أوريجينوس عن تجسد اللوغوس، أي الكلمة، فيقول: [بالنسبة لأوريجينوس تُعالج هذه القضية بتعبيرات المذهب الأفلاطوني للنموذج والمثال. فهو يواجه صعوبة شديدة في كل ذلك. حيث يعارض أولئك (الرواقيين والأبيقوريين وحتى أرسطو) الذين ملأوا الدنيا

---

[1] *De Principiis 1:1:4 (Cf. Butterworth).*
[2] *In Exodus hom.6:12 (Cf. Ronad E Heine- Frs. of the Church, vol. 71.)*

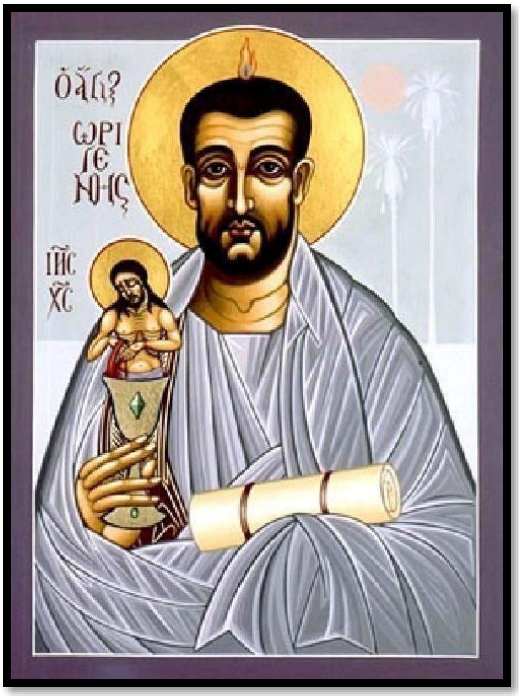

بعقيدةٍ تنادي بإلغاء العناية (الإلهية) أو تحجيمها، أو يتقدمون بمبدأ أولي مادي قابل للفساد، "**بينما حسبوا عقيدة اليهود والمسيحيين الحافظة الطبيعة الإلهية غير القابلة للتغيير أو التبديل، والغير جديرة بالاحترام لتعارضها مع المعتنقين لآراء خاطئة عن الله...**"[1]

يُسْهِمُ الكلمة المتجسد الذي يأتي إلى العالم في طبيعته – أي العالم – النسبية والمؤقتة. فالحقيقة الإنجيلية – بدون شك – تتجسم في إدراك واقعٍ إنسانيٍ ذي صفة إلهية كنعمة (له). ولكن ذلك يتبعه اعتراف بمجرد طبيعة رمزية للعنصر الإنساني وسمو إلى واقع إلهي يعلوها.[2]

كان النزول الإلهي إلى العالم بالتجسد، أمر حاسم بالنسبة لكل لاهوتيات أوريجينوس، فقد جاء صلسس Celsus بالاعتراض التالي: "إن كنا نؤكد أن الله ذاته سينزل إلى البشر، فهذا يتضمن – في رأيه – تركه لعرشه؟[3]" يجيب أوريجينوس على هذا الاعتراض: "**إن صلسس Celsus لا يدرك قوة الله، الذي يملأ كل الأشياء في حين يحتفظ كل شيءٍ بذاتيته. فإذا قيل عن الله أنه نزل، أو جاء إلينا، فلا يعني ذلك أنه قد تحرك من مكانٍ إلى آخر، أو أنه قد ترك عرشه. فالأمر لا يتضمن تغيير أو ترك[4]". "وحتى بفرض أننا قلنا أنه ترك مكانًا ما وملأ آخر، فنحن لا نقول ذلك بمفهوم "المكان". فبأي مفهوم نعنيه إذن؟ بمفهوم وجودي. إذ أن "التغيير" لابد أن يُفْهَم على أنه يحدث بداخلنا. فأي شخص قد استقبل مجيء كلمة الله في روحه شخصيًا، يتغير من شريرٍ إلى صالحٍ، ومن عدم الالتزام إلى ضبط النفس، ومن اللاعقلانية إلى التقوى**".

وكما يستنتج أحد الدارسين عن أوريجينوس: "كانت الحياة الأرضية للمسيح روائية رمزية عظمى (واقعية)، رواية سرِّية إلهية هدفت إلى استنارة للبشرية[5]".

---

[1] *Contra Celsus 1:21; Joseph c. McLelland: God The Anonymous, Massachusetts, 1976, p. 106-107.*
[2] *Joseph c. McLelland: God The Anonymous, Massachusetts, p. 113.*
[3] *Contra Celsus 4:5.*
[4] *Cf. Contra Celsus 6:60.*
[5] *Joseph c. McLelland: God The Anonymous, p. 117.*

ويعود بنا أوريجينوس إلى إجابته السابقة، ثم يضيف: "**في الوقت الذي يبقى فيه غير متغير في الجوهر، فهو ينزل من أجل تدبيره الإلهي واهتمامه بجنس البشر.**"

يتميز هذا المذهب، عن ذلك الذي اعتنقه الرواقيين والأبيقوريون، اللذان لم يكن واضح لديهم "المفهوم الحق لطبيعة الله، في كونها غير قابلة للفساد أو الانقسام، كما تتصف بالبساطة." فالسيد المسيح[1] كان أيضًا في صورة الله، ولكنه أخلى ذاته حتى يصير في مقدرة البشر أن يقبلوه. "**ولكنه لم يجوز أي تغيير من الصالح إلى الشرير**". فعندما أخذ الكلمة الجسد الإنساني والنفس الإنسانية، ظل "**الكلمة في الجوهر بدون معاناة لما يصحب الجسد أو النفس**". فنزوله كان للمستوى الأدنى، من أجل أولئك غير القادرين على تقبل التدبير الإلهي. "**لقد صار جسدًا ووُصِفَ طبقًا لذلك بتعبيرات جسدية، حتى يتسامى – بواسطة الكلمة – من يتقبله في هذا الشكل تدريجيًا، إلى أن يعلو – إذا جاز التعبير – عن وضعه المطلق**[2]."

يختلف الوضع طبقًا لاختلاف أنواع المتقبلين، إن **كان مبتدئًا، أو متقدمًا، أو أحرز تفوقًا ملموسًا، أو كاد يتوصل إلى الفضيلة، أو توصل إليها فعلاً**[3]". وتصلح واقعة التجلي كمثلٍ في هذا الشأن[4]. فالذين على المستوى الأدنى، لم يكونوا قادرين على مواجهة الصورة الأكثر صدقًا التي أظهر بها يسوع نفسه لأولئك القِلَّة على الجبل. فالأولون لم يروا سوى الطبيعة القابلة للموت. ويستخدم أوريجينوس قول إشعياء (53: 2): "لا صورة له ولا جمال"، بينما أدرك التلاميذ صورة اللوغوس الخالد.

لكن لم يشأ أوريجينوس أن يلمح بأن الهيئة الإنسانية لم تكن سوى مظهرًا؛ فهو "لا يخدع أو يكذب[5]". فبالرغم من عدم قوله أن الشكل المتجسد يشارك في صفة مطلقة (أي لم يتغير إلى الطبيعة الإلهية)، إلا أنه في نفس الوقت لا يَدَّعي العكس، بطريقة غنوصية، تهبط بالتجسد إلى المظهرِ...، أي إلى نوع من الظهورات. لقد أراد أن يؤكد حقيقة التجسد، أنه تعليم pedagogy يعمل فينا. فاللوغوس الإلهي أخذ الإنسانية من أجل وضعنا الهابط الفعلي، "**بذلك يصير في مقدورنا مبدئيًا أن نقبله**[6]".

---

[1] *Contra Celsus 4:15.*
[2] *Joseph c. McLelland: God The Anonymous, p. 119.*
[3] *Contra Celsus 4:16.*
[4] *E.G. 2:64.*
[5] *Contra Celsus 4:18.*
[6] *Comm. on John 1:20; Joseph c. McLelland: God The Anonymous.*

يسوع المسيح صار إنسانًا حقيقيًا

لا ينكر أوريجينوس حقيقة جسد السيد المسيح، وله احتياج حقيقي للإعالة[1]. فلم تكن حياته وآلامه وهمية بأي شكل، بل أن أوريجينوس يؤمن أن جسد يسوع كان حقيقيًا إلى درجة لا نتقبل معها – بالمفهوم الحرفي – قصة حمله إلى جبلٍ عالٍ بواسطة الشيطان المُجَرِّب[2].

❖ **جسد الشيطان، بطبيعته مكون من مادة رقيقة كالهواء، لذلك يعتبره أغلب الناس (من الهراطقة) ويتكلمون عنه على أنه غير جسدي. أما بالنسبة للمخلص فكان جسده ملموسًا قابلاً للتعامل معه...**[3]

يواجه أوريجينوس السرّ العميق "للطبيعة المركبة" للمسيح[4]. فمع اعترافه بأن اللوغوس قد اتخذ عمدًا جسدًا لا يختلف عن الجسد البشري، هكذا "**أخذ مع الجسد ما يصاحبه من آلامٍ وأحزانٍ**[5]". إلا أنه يعلم أن آلام المسيح وموته يقعان في موضع الصدارة من الحب الإلهي والخلاص. هنا يتكلم عن "فائدة" موت المسيح[6]، و يبرهن على ذلك، مبتدئًا من حقيقة آلامه إلى حقيقة قيامته[7].

يُعتبر أوريجينوس– الذي أَثْرَى علم المسيحيات Christology اليوناني باصطلاحات physis وhypostasis وousia وhomousios وtheonthropos – أول من استخدم لقب: الإله المتأنس[8] (theonthropos) حتى **يجزم إنسانية يسوع في مواجهة الغنوصيين.** كما أكد أيضًا وحدة طبيعة السيد المسيح في قوله أن السيد المسيح بالرغم من أنه لقب باسم يتضمن معنى لاهوته، إلا أن صفاته البشرية يمكن أن تُنبئ عنه، والعكس صحيح، فيقول:

❖ **دُعي ابن الله الذي به قد خُلقت كل الأشياء بيسوع المسيح، كما سُمِّي ابن الإنسان. أيضًا قيل إن ابن الله مات، أقول فيما يتعلق بتلك الطبيعة التي تسمح بالموت.**

❖ **كما دُعي ابن الإنسان الذي أُعْلِنَ أنه مزمع أن يأتي مع الملائكة القديسين في مجد الله الآب.**

❖ **ولذلك لم يأتِ ذكر الطبيعة الإلهية خلال الكتاب المقدس كله بلغة بشرية فحسب – بل كُرِّمَت الطبيعة البشرية بمسمّيات خاصة بالكرامة الإلهية**[9].

---

[1] *In Gal., Frag., Tollinton: Selections from the Commentaries and Homilies of Origen, SPCK 1929, p 41ff; Joseph c. McLelland: God The Anonymous, p. 121.*
[2] *Bigg: The Christian Platonists of Alexandria, p. 234.*
[3] *De Principiis 1:2:2-5 (Cf. Butterworth).*
[4] *Contra Celsus 1:66.*
[5] *Contra Celsus 2:23.*
[6] *Contra Celsus 1:54f., 61.*
[7] *Contra Celsus 2:16.*
[8] *In Ez. hom. 3:3.*
[9] *De Princ. 2,6,3 ANF.*

❖ **بعد التجسد صارت نفس يسوع وجسده واحدًا مع كلمة الله[1].**

شكل جسده

يؤمن أوريجينوس بأن ربنا يسوع المسيح كان له جسد حقيقي في هيئته يشابه جميع الناس، ويراه كل المحيطين به. ولكن هيئة جسده كانت في الوقت نفسه تتغير حسب طاقة من يراه، مما يجعل من تلك الأشكال المختلفة، فائدة تتناسب مع احتياجات كل من يراه. ففي وقت ما، قيل عنه: "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه" (إش 53: 2). وفي وقت آخر تجلى في مجده للثلاثة المختارين (مت 17: 2). فبالنسبة للذين مازالوا عند سفح الجبل، ولم يستعدوا بعد للصعود مع المسيح، كان في نظرهم "لا صورة له ولا جمال"، أما بالنسبة لهؤلاء الذين تبعوه فمُنحوا قوة على مصاحبته في صعوده إلى قمة الجبل، حيث تجلى لهم في هيئته الإلهية.

❖ **لم تكن له هيئتان فحسب، واحدة يراها الجميع وأخرى تجلّى بها أمام تلاميذه فوق الجبل، بل و ظهر أيضًا لكل إنسان في الهيئة التي تتناسب حسب استحقاق كل منهم[2].**

❖ **تظهر الكلمة في هيئات مختلفة حسب قدرة كل إنسانٍ. فللبعض كان "بلا صورة ولا جمال"، وللآخرين كان مزدهرًا بالجمال. ولأولئك الذين مازالوا في مرحلة الصعود خلال أعمالٍ مجيدةٍ، تقودهم إلى جبل الحكمة العالي، كان يُرى في هيئة أكثر بساطة، ويُعْرَف بمفاهيم جسدية. أما بالنسبة للكاملين، فقد كان يُدْرَكُ في لاهوته. وكانت معرفتهم تؤهلهم لرؤيته في شكل الله[3].**

❖ **"وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه" (لو 4:20)، فكم أرجو أن يكون مثل ذلك في مجمعنا. أن تتركز عيون النفس لا الجسد، للذين يتعلمون من الموعوظون؛ والمؤمنون رجالاً ونساءً وأطفالاً ينظرون إلى يسوع. فالنظر إليه، يعكس نوره على وجوهكم فتزداد لمعانًا[4].**

للمسيح نفس بشرية

يقول *Charles Bigg*: أن أوريجينوس هو أول من تحدث باستفاضة عن النفس البشرية ليسوع. فهي مثل غيرها من النفوس، أزلية ومتحدة أبديًا مع الكلمة[5]. فمنذ البدء استقبلته بالكامل، والتصقت به بغير انفصام. شابهت النفوس البشرية في كل شيءٍ. فقد كانت مثلها حرة. ولكن كمال الحب واستحقاقها الفريد جعلها أكثر ارتباطًا مع الربوبية

[1] *Contra Celsus 2:9.*
[2] *Comm. Ser. Matt. 100 on 26:48ff.*
[3] *Frag. Hom. Luke 15 (On Transfiguration).*
[4] *In Luc. hom. 32:6.*

[5] كثيرًا ما يكرر اعتقاده أن النفس البشرية مخلوقة قبل الجسد.

إلى درجة تسمح بمقارنة اتحاد الاثنين بكتلة من حديد تتوهج إلى الأبد بلهيب أبيض. فمن يلمس الحديد لا يحس به بل يشعر بالنار. لذلك نجد في الكتاب المقدس المسمَّيات المناسبة للطبيعة البشرية للرب التي تُنسب أحيانا للاهوته، وبالعكس؛ هذه هي *Communicatio Idiomatum*. فجسد يسوع كان طاهرًا من كل شوائب المولد، ومن كل نجاسة من أي نوع، وكان جسدًا حقيقيًا[1].

وفي كتابه *De Principiis* يؤكد أوريجينوس بأن السيد المسيح كان له نفس بشرية.

❖ **عندما أراد ابن الله أن يظهر للناس ويعيش بينهم، من أجل خلاص جنس البشر، لم يتخذ لنفسه جسدًا بشريًا فحسب بل أيضًا أخذ نفسًا بشرية تشابه نفوسنا في طبيعتها، ولكنها تشبهه في القصد والمقدرة، بحيث تستطيع أن تُشبع بدون أن تتخلى عن رغبات وتدابير الكلمة والحكمة.**

يعتقد أوريجينوس بأنه كان هناك وجود سابق لنفس السيد المسيح، كما هو الحال بالنسبة لجميع المخلوقات العاقلة، وفي ذلك يقول Crouzel: هكذا المسيح الإنسان، كان كائنا قبل الدهور، قبل التجسد بزمنٍ بعيدٍ. وله – قبل ذلك الحدث – تاريخ. فهو عريس الكنيسة، التي لها وُجود سابق، والتي تتكون من مجموع المخلوقات العاقلة[2].

أهداف التجسد

يعطينا Benjamin Drewery ملخصًا عن رأي أوريجينوس بالنسبة لأهداف التجسد، فيقول: صار السيد المسيح مثل الناس حتى يمكن أن يصيروا مثله. قام بتوفير كل ما هو صالح، معلمًا الطريق إلى الله، منذرًا بالدينونة، مقدمًا ذاته مثالاً للحياة المثلى، مقدمًا تغييرًا وإصلاحًا وتطهيرًا من الشرور، مفرّحًا لتابعيه، غارسًا بذور كلمة الله، وفاتحًا ملكوت الله أمام العالم أجمع سواء المستحقين أو غير المستحقين، بل وحتى لغير الراغبين (من جانبه يقدم الخلاص لكن ليس قسرًا)[3].

يمكننا تقديم أهداف التجسد عند العلامة أوريجينوس في النقاط التالية:

الهدف الأول: يربطنا به

❖ **لنتأمل إذن، كيف يمكن للابن أن يرتقي في الجسد إلى امتلاك الصالحات، التي هي بالفعل له، بواقع لاهوته. فالذين هم في العالم، من حيث أنهم ينتمون إلى الآب، يمكن اعتبار أنهم أيضًا ينتمون، بطريقةٍ ما، إلى الابن، وهو الشريك مع الآب في مقاصده. فكيف إذًا يمكن أن يتلقى من الآب الأمر، بأن تُعْطَى له كل الأمم ميراثًا، وإن يمتد سلطانه إلى أقصى الأرض (مز 2)؟ يرجع هذا إلى أن الإنسان في سياق تجنبه لخدمة الله، قد تمادى**

[1] *Bigg: The Christian Platonists of Alexandria p. 233.*
[2] *Henri Crouzel: Origen, San Francisco 1989, p. 192.*
[3] *Benjamin Drewery: Origen and the Doctrine of Grace, London 1960, p. 113.*

في تمرده بلا حدود، ضد الله. بينما قدم الآب الخالق لكل شيء – في تطلعه لتحرير البشر – على إرسال اللوغوس، ابنه الوحيد إلى العالم، وأعطاه جسدًا، ليقوم – بدون تغيير في طبيعته الإلهية – بمنح الحرية للأسرى، ويعيد البصر لفاقدي النظر. نقول إذًا إن الابن قد حصل على مُلْكِه، وتم الاعتراف به على أنه وريثٍ للآب. ولكننا إذا كنا نستطيع أن نقول ذلك – مستندين إلى طبيعته البشرية – يجدر بنا أن نلزم جانب الحذر حتى لا نسيء فهم البِنْيَة الداخلية لسرّ الثالوث[1].

❖ **عندما يكون يسوع بين الجموع فهو خارج بيته** (مت 1:13)**، لأن الجموع خارج البيت. ذلك يكشف عن حبه للبشر، إذ يترك البيت ويذهب بعيدًا إلى أولئك العاجزين عن الذهاب إليه[2].**

الهدف الثاني: يجدد طبيعتنا

❖ **لا يحدث شيء صالح بين البشر بدون عمل الكلمة الإلهي**[3].

صار الرب إنسانًا ليقيم طبيعتنا البشرية الساقطة، ويحوِّلها من أرضٍ إلى سماءٍ.

❖ **قيل: "يلبس قميصًا كتانيًا مقدسًا"** (لا 4:16)**، تأتي خيوطه من الأرض. هي ثياب كتان مقدسة يلبسها المسيح، رئيس الكهنة الحقيقي، إذ يتخذ لنفسه طبيعة الجسد الأرضي، الذي قيل عنه إنه: "من تراب وإلى تراب يعود". أخذ ربي ومخلصي جسدًا أرضيًا، في رغبته لإقامة الذي نزل إلى الأرض، حتى يحمله صاعدًا به من الأرض إلى السماء**[4].

يشرح القديس بولس بوضوح، في الرسالة إلى العبرانيين، الفرق بين الذبيحة الحيوانية وذبيحة السيد المسيح. فالأولى تتكرر نتيجة لضعفها وقصورها عن تجديد أعماق الطبيعة البشرية. أما الأخيرة فقد قُدِّمَت مرة واحدة فقط، لكنها مازالت تملك القوة على تجديد إنساننا الداخلي.

يقول أوريجينوس أن يسوع المسيح بوصفه كاهنًا وذبيحة في الوقت ذاته، لم يُقَدِّم دمًا حيوانيًا يفنى، بل قَدَّم دمه، الذي يعطي الحياة والقيامة والخلود. إذ يرتقي بالمؤمنين على الدوام، من الخضوع لحكم الموت إلى التمتع بالخلود، محررًا طبيعتهم حتى يحملوا شبهه.

❖ **ظهر في هيئته الجسدية وبذل ذاته كجسدٍ، جذب لنفسه الجسديين وحوّلهم أولاً إلى شبه الكلمة الذي صار**

---

[1] *Benjamin Drewery: Origen and the Doctrine of Grace, London 1960, p. 113.*
[2] *Fr. Malaty: Luke, p. 294 (in Arabic).*
[3] *Contra Celsus 6:78.*
[4] *Homilies on Leviticus 9:2 (Cf. Frs. of the Church).*

جسدًا، ثم بعد ذلك إلى شبه ما كان عليه قبل أن يصير جسدًا[1].

- **أفاض بمحبته بأن أصبح إلهًا على الآخرين الذين تحولوا بواسطته إلى آلهة، كنموذج *Prototype*. فالكلمة هو النموذج *Archetype* للصور العديدة[2].**

وفي تعليقه على إنجيل يوحنا، يقرر أوريجينوس أن لفظ "**الأردن**" يعني "**نزولهم إلى أسفل**[3]". فالمسيح المخلص هو "**الأردن**"، فيه ننزل حتى نتطهر. وبتعبير آخر، نزل اللوغوس بتجسده وصار إنسانًا، حتى ننزل بدورنا ونقتنيه، كسرّ لتطهيرنا.

- **عندما نتأمل في تلك الحقائق الهائلة والرائعة عن طبيعة ابن الله، تمتلكنا دهشة بالغة، إذ أخلى ذاته من مكانه السامي فوق الجميع، ومن منزلته الملكية، ليصير إنسانًا، ويعيش بين البشر. وهي حقيقة تشهد لها النعمة التي تدفقت على شفتيه، والشهادة التي نطق بها الآب السماوي عنه، كما أكدتها العلامات والعجائب التي أجراها. وقبل ظهوره الجسدي، أرسل الأنبياء كسفراء ومرسلين يعلنون عن مجيئه. أما بعد صعوده إلى السماء، فحَوَّل رسله القديسين البسطاء، وغير المتعلمين، من طبقة العشارين والصيادين إلى الامتلاء بقوته الإلهية، حتى يجولوا في كل الأرض، ليجمعوا من كل أمةٍ ومن كل جنسٍ، شعبًا من المؤمنين المكرسين له. لذلك عندما نشاهد فيه جوانب تبلغ في إنسانيته إلى درجة لا تختلف كثيرًا عن الضعف السائد في القابلين للموت، ثم جوانب أخرى تبلغ في لاهوته ما لا يتمشى إلا مع الطبيعة الإلهية الأساسية الفائقة الوصف، يتحيّر الفهم البشري المحدود. تصدمه الدهشة أمام هذا الإعجاز الهائل، فلا يدري إلى أي طريق يتجه، أو إلى أي شيء يذهب. فعندما يفكر في الله يجد أمامه الإنسان، ومتى فكر في الإنسان، يرى أمامه من يقوم من الموت بعد قهره لمملكة الموت[4].**

- **لنتأمل الآن في كلمات الإنجيل التي أمامنا. "فالأردن" يرمز إلى "النزول إلى أسفل". وتقترب كلمة "يارد" من الجانب اللفظي من كلمة "الأردن"، إذا جاز هذا القول. إذ تؤدي إلى نفس معنى "النزول إلى أسفل". فيارد وُلِدَ من مهللئيل (تك 5)، كما جاء في كتاب أخنوخ، إذا تقبلنا صدق ذلك الكتاب، وذلك في الأيام التي فيها نزل أبناء الله، واتخذوا لأنفسهم بنات الناس.**

فبالنسبة لهذا النزول افترض البعض أن هناك إشارة مبهمة إلى "تزول" النفوس إلى الأجساد. ناظرين إلى تعبير "بنات الناس" كتعبير مجازي عن ذلك المسكن الأرضي. فإذا كان الأمر كذلك، فأي نهر سيكون إليه نزولهم،

---

[1] *Contra Celsus 6:68.*
[2] *Comm. on John 2:2.*
[3] *Comm. on John, book 6:25.*
[4] *De Principiis 2:6:1 (Cf. Butterworth).*

حيث لابد من أن يأتي المرء للتطهير، نهر ينحدر، لا من خلال نزوله هو بل من خلال نزولهم هم، أي الناس، إلا مخلصنا الذي يفرق بين الذين أخذوا أنصبتهم من موسى، وأولئك الذين حصلوا عليها من خلال يسوع (يشوع). فتيار هذا النهر، الذي يتدفق في مجراه، يُفْرِحُ مدينة الله، كما ورد في المزامير (4:46). هذه المدينة التي ليست هي أورشليم المرئية، إذ ليس بجوارها نهر، بل كنيسة الله التي هي بلا لوم، المبنيّةِ عل أساس الرسل والأنبياء، مع يسوع المسيح، الذي هو حجر الزاوية الرئيسي فيها.

لابد أن نفهم "الأردن" أنه كلمة الله الذي صار جسدًا وهيكلاً بيننا، يسوع هو حجر زاويتنا الرئيسي، الذي يعطينا إنسانيته التي اتخذها، كميراث عن الرب. قد اصْعِدتَ إلى لاهوت ابن الله، قد غُسِلَت، ثم تقبَّلت في ذاتها حمامة الروح النقية والبريئة، وارتبطت بها، إذ لا تستطيع أن تطير بعيدًا عنها فيما بعد[1].

❖ "لسقوط وقيام كثيرين" (لو 34:2): العطية الأولى هي أن من يظل في الخطيئة، لابد له من السقوط والموت فيها، والثانية أنه يلزم الخاطئ أن يقوم ويحيًا في البرّ. فالإيمان بالمسيح يهب بالنعمة هذه العطايا[2].

❖ نزول المخلص إلينا جعل كل ما هو صالح بين أيدينا[3].

❖ إن كنا قد قمنا مع المسيح الذي هو البرِّ، وسِرْنا في جِدَّيةِ الحياة، وعشنا حسب برِّه، فالمسيح قام من أجلنا حتى نتبرر. المسيح إذن يبرّر فقط أولئك الذين اتخذوا حياة جديدة حسب مثال قيامته، وألقوا عنهم الثياب العتيقة التي للإثم، والمؤدية إلى الموت[4].

الهدف الثالث: يُمنح الإنسان النصرة على الخطية، وعلى العالم الشرير، وعلى الشيطان.

❖ يهبني يسوع ابن الله، ربي، ويأمرني أن أسحق تحت قدميّ روح الزنا، وأن أطأ عنق روح السخط والغضب، وشيطان الجشع الخ...[5].

❖ كما أن الآب "له وحده عدم الموت" (1 تي 16:6)، أخذ الرب يسوع، حبًا فينا، على نفسه ثِقَل الموت نيابة عنا. وعلى النمط نفسه ينطبق هذا الوصف على الآب وحده: "ليس فيه ظلمة". فإن المسيح، لمنفعة البشر، أخذ على نفسه ظلامنا، حتى يمكنه بسلطانه أن يأتي بموتنا إلى لا شيء، وأن يبدد ظلمتنا الداخلية[6].

---

[1] *Comm. on John, book 6:25.*
[2] *In Luke Hom. 17 on 2:34.*
[3] *In Luke hom. 4.*
[4] *Comm. on Rom. 4:7 on 4:23-25.*
[5] *In Josh. Homily 12:3..*
[6] *Comm. On John 2:26 (21).*

❖ **قبل مجيء ربنا ومخلصنا، ملكت كل الشياطين على عقول الناس وأبدانهم، واستقرت في أرواحهم. ثم ظهرت نعمة الرب المخلص، ورحمته على الأرض، تعَلّمنا كيف يجدر بنفس كل إنسان أن تستعيد الحرية، وتسترد صورة الله التي خُلِقَت عليها. من هو هذا، إذا لم يكن يسوع المسيح، الذي بجلداته قد شُفينا نحن المؤمنون به، عندما "جَرَّدَ الرئاسات والسلاطين" الذين في وسطنا وأشهرهم جهارًا فوق الصليب؟ (كو 15:2)[1].**

❖ **لقد سقطنا تحت سلطان أعدائنا، أي "مَلِكُ هذا الدهر" وأعوانه من قوى الشر. لهذا نشأت حاجتنا إلى الفداء بواسطة ذاك الذي يشترينا حتى نرجع من حالة التغرب عنه، لذلك بذل مخلصنا دمه فدية عنا. ولما كانت "مغفرة الخطايا"، وهي تتبع الفداء مستحيلة قبل أن يتحرر الإنسان، لابد لنا أولاً أن نتحرر من سلطان ذاك الذي أخذنا أسرى، واحتفظ بنا تحت سيطرته، نتحرر بعيدًا عن متناول يده، حتى نتمكن من أن نحظى بغفران خطايانا والبُرْء من جراح الخطيئة، حتى ننجز أعمال التقوى وغيرها من الفضائل[2].**

الهدف الرابع: يمنحنا النصرة على الموت

❖ **لأن كل من هو مع المسيح، يكون فوق دائرة سلطان الموت[3].**

❖ **إذ قام من الموت مرة، وجعل تلاميذه يقتنعون تمامًا بحقيقة قيامته، كشفوا للجميع خلال آلامهم أن عيونهم مُثْبَتَةٌ على الحياة الأبدية، وعلى القيامة التي تمثلت لهم بالكلمة والفعل، مما جعلهم يزدرون بكل مصاعب هذه الحياة[4].**

الهدف الخامس: يمنحنا المعرفة *"Gnosis"* الحقيقية العاملة

يقول أوريجينوس أن اللوغوس هو معلمنا معطينا الناموس وهو ذاته المثال[5]. علمنا، لا بالكلمات فحسب، بل منحنا الارتباط به، فنفقد بذلك طبيعة الموت وعدم التعقل، ونصبح إلهيين وعقلاء[6]. هو أيضًا مثال للحياة الكاملة[7]، وللفضيلة الحقيقية، يتحوَّل كل المسيحيين[8] إلى مثاله، مما يُمكِّنهم من شركة الطبيعة الإلهية[9].

❖ **في داخل لاهوت الكلمة قوة، ليس فقط لمساعدة وشفاء من هم مرضى، بل للإعلان عن الأسرار لأنقياء الجسد**

---

[1] *Contra Celsus 1:54f.*
[2] *Comm. on Eph. 4 on 1.*
[3] *Comm. on Matt. 16:8 on 20:25-28.*
[4] *Contra Celsus 2:77.*
[5] *Kelly ,p. 180f; De Principiis 4:1:2; Contra Celsus 2:52:3:7.*
[6] *Comm. on John 1:37.*
[7] *Contra Celsus 1:68.*
[8] *Contra Celsus 8:17.*
[9] *De Principiis 4:4:4.*

والذهن. قد أُرْسِلَ الكلمة كطبيبٍ للخطاة، بل وكمعلمٍ لأولئك الذين هم بالفعل أنقياء وبغير خطيئة[1].

- **بواسطة نور الكلمة، تتبدد ظلمة التعاليم الهرطوقية. يفتح الكلمة أعين نفوسنا، فنستطيع التمييز بين النور والظلمة، ونختار في كل حالٍ أن نبقى في النور[2].**

الهدف السادس: يَهْدِي الأمم

يَهْدِي "خراف إسرائيل الضالة"، ثم لعدم إيمانهم ينزع "مملكة الله" من اليهود ويمنحها لِكَرَّامين آخرين[3].

الهدف السابع: نقبله رأس جنسنا

- **كما أن آدم المثال الأول لنا والرأس لجنسنا بطبيعة الميلاد، لهذا نُعْتَبَر جسدًا واحدًا، ونُسَجِل المسيح، آدم الثاني، رأسًا لنا من خلال التجديد الإلهي، صار مثالاً لنا بموته وقيامته[4].**

استمرارية صلاح يسوع

- **لم يقتصر صلاح المسيح تجاه البشرية على مرحلة تجسده، بل لا تزال قوته حتى أيامنا هذه تعمل في سبيل الهداية والنمو السلوكي للذين يؤمنون بالله من خلاله[5].**

التجسد والملائكة

يعتقد أوريجينوس أن وساطة اللوغوس لا تقف عند الكنيسة ككل، وكل عضوٍ فيها فحسب، بل تمتد أيضًا إلى الملائكة والقوات[6]. وبذلك يعمل اللوغوس تدريجيًا على توحيد الكل فيه، بغير انتهاك لحرية المخلوقات العاقلة[7].

كما يؤمن أوريجينوس أنه من خلال صلاح الله تجاه البشرية، قد صار إنسانًا، ويظهر للملائكة كملاك، حتى يشعر الجميع بانتمائه إليهم.

- **صار المخلِّص. كل شيءٍ للجميع، حتى يكسب الجميع أو يُكَمِّلُهُم. فمن الواضح أنه بالنسبة للبشر، قد صار إنسانًا، وبالنسبة للملائكة قد صار ملاكًا. فبكونه إنسانًا، ليس هناك مجال للشك لدى أيّ مؤمن. أما بكونه ملاكًا، فهو يدفعنا إلى الاعتقاد بأن ما نلاحظه بعناية هو ظهورات الملائكة وأحاديثهم، إذ تشير إلى أنهم**

---

[1] *Contra Celsus 3:61,62.*
[2] *Contra Celsus 6:67.*
[3] *Contra Celsus 4:3.*
[4] *Comm. on John Frag. 14o0 on Colos. 1:18.*
[5] *Contra Celsus 1:43.*
[6] *De Principiis 4:4:5; 4:3:13 [left out by Rufinus; In Lev. hom. 1; Contra Celsus 7:17).*
[7] *Cf. De Principiis 3:5:6-8.*

يستمدّون سلطانهم منه[1].

مجيء المسيح مرتين

يقترح أوريجينوس أن المرتين اللتين افتقد فيهما ربنا يسوع المسيح قانا الجليل ترمزان إلى مجيئه مرتين.

- **في المرة الأولى، بعد أن غسلنا، فرَّحنا، نحن الذين نحيا معه، مانحًا إيانا ما تحوَّل بسلطانه إلى خمرٍ. ففي واقع الأمر لم تكن الكتب المقدسة قبل المسيح أكثر من ماء، وقد تحوَّلت لنا منذ مجيئه إلى خمرٍ. أما في المرة الثانية، في مجيئه الثاني في وقت الدينونة، التي عهد بها إليه الآب، يشفي من الحمى، إذ شفي من الحُمى غلام الرجل النبيل شفاءً تامًا.**

في المرة الأولى فَرِح الذين قبلوه. أما في الثانية فتحرر الذين كانوا قبل ذلك، غير راغبين في شرب خمره من كل مرضٍ ومن سهام العدو الملتهبة نارًا (أف 16:6)[2].

- **جاء ابن الإنسان بالفعل، وإن لم يكن في مجده (يقتبس أوريجينوس هنا إش 53:2–5)، فقد كان لابد أن يأتي هكذا حتى "يحمل خطايانا" ويتألم نيابة عنا، إذ لم يكن من اللائق بالمسيح في مجده أن "يحمل خطايانا" وإن يتألم من أجلنا.**

لكنه قادم مرة أخرى في مجده بعد إعداد تلاميذه لهذا المجيء خلال ظهوره هذا حين كان "بلا صورة ولا جمال". فقد صار مثلهم حتى يصبحوا هم مثله "مشابهين لصورته" (رو 29:8) في مجده.

في مجيئه الأول كان مشابها "لجسد تواضعنا" (في 21:3) عندما أخلى ذاته، وأخذً شكل العبد، وسيعود بالبشرية إلى شكل الله[3].

لم يكن الهدف من مجيئه الأول أن يدين البشرية قبل أن يقوم بتعليمهم وإرشادهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه. كما لم يأتِ لمعاقبة الأشرار ومكافأة الأبرار، بل جاء ليغرس، بطريقته الرائعة، بذرة كلمته، بسلطان إلهي في الجنس البشري بأسره[4].

[1] *Comm. on John 1:34 (ANF).*
[2] *Comm. on John 13:62.*
[3] *Comm. on Matt. 12:29 on 16:27.*
[4] *Contra Celsus 2:38.*

يسوع المسيح وخلاصنا

الحاجة إلى الخلاص

1. يقول أوريجينوس الذي كان قلبه مشتعلاً بالحب الإلهي، لصلسس إن الشيء الوحيد الذي **يحتاجه** الله هو **خلاص خليقته**[1]، لا عن عوزٍ ، وإنما بسبب حبه اللانهائي لخليقته.

2. الديانة الطبيعية والأخلاقيات الطبيعية لا تكفي. فالخلاص يتحقق بالمسيح وحده، إذ أنه لا جدوى من أن نمارس العمل الصالح قبل أن نكون بارين بالرب[2]. لقد بلغت النفس الإنسانية حالة من الضعف والتَشَتّت، إلى درجة **لا يمكن معها أن تتبرَّر بعيدًا عن قوة الله ونعمته** في المسيح.

يرى البعض أن قسوة حكم أوريجينوس على "الوثني الطيب"، يدعمها إنكاره أن هذه الحياة هي الفرصة الوحيدة أمام الإنسان[3].

❖ **حيث نشر العدو شباكه في كل مكانٍ، وكاد أن يُسقط الجميع في شراكه، صارت الحاجة إلى من هو أعظم منه قوة، ويعلوه حتى يدمره، ممهدًا بذلك الطريق لمن يتبعوه**[4].

3. يقرر باسيل ستودر [5] أن المهمة الخارجية للوغوس بالنسبة لأوريجينوس، تتكون من شقين: أحدهما يتعلق بالخَلْق، والثاني بتاريخ الخلاص.

- به خُلِقَ العالم، وتأسست نفس *soul* العالم، وقام نظام العالم[6].
- أسس عمل الخلاص، الذي يقوم على حفظ العالم. فحتى في تجسده، خدم الخلاص بمفهوم هذا الحِفْظ[7]. "**تجد في تاريخ الخلاص أن اللوغوس هو وراء كل أحداث البشرية**[8]". ففي العهد القديم مارس المسيح أعمال الرؤية النبوية من خلال رجال مختارين، ومن خلال ظهوره شخصيًا[9]. وعلى مرّ الزمان، صار إنسانًا حتى يخلّص البشر من الشياطين، ويعيد تثبيت الناموس، ويقدم ذاته مثلاً للإنسان الفاضل[10].

---

[1] *Contra Celsus 8:62; cf. St. Clement of Alexandria: Stromata 7:14.*
[2] *Comm on Rom. 8:2.*
[3] *Henry Chadwick: History and Thought of the Early Church, London, 1982, p. 187.*
[4] *Comm. on the Songs of Songs, book 3:13 (ACW).*
[5] *Basil Studer: Trinity and Incarnation, p. 80.*
[6] *De Principiis 2:1:3; 1:2:9; i:3:5f.*
[7] *Cf. De Principiis 2:6:3.*
[8] *Cf. De Principiis 2:6:31.*
[9] *Cf. De Principiis 1:Praef.:1.*
[10] *Cf. De Principiis 3:5:6; 3:3:2.*

4. يتحقق إتمام الخلاص حينما يُخضع المسيح نفسه، كرأس للكنيسة للآب، فيصير الله الكل في الكل[1]. يتحقق هذا عند المجيء الأخير للوغوس في الخليقة والتاريخ[2].

مفهوم الخلاص

لكي نفهم مختلف التفسيرات التي أعطاها أوريجينوس عن سرّ الفداء، علينا أولاً ألا نغفل عما جاء في كتابيه الأولين في تفسيره لإنجيل يوحنا. فبالنسبة لأوريجينوس، ترتبط الآلام دائمًا برسالة الكلمة. فالمسيح الذي تألم، هو فارس سفر الرؤيا الذي امتطي الفَرَس الأبيض. (يرمز الفَرَسُ أبيض إلى الحقيقة المعلنة لمجده، أما ثيابه، فهي مرشوشة بالدم، الذي هو انتصاره). فذبيحة المسيح كانت إعدادًا للتقدم الروحي للنفس المسيحية[3].

ويمكننا تلخيص مفهوم الخلاص عند أوريجينوس في النقاط التالية، والتي لا يمكن فصلها عن بعضها البعض:

1. الخلاص والاستنارة:

بالنسبة لأوريجينوس، لا يمكن فصل الخلاص عن الاستنارة. **فمخلصنا هو المُلهِم (المُعلن الإلهي) والمعلّم والمنير.** يُعَبَّر عن الخلاص بالنور في مقاومته للظلمة، والمعرفة في مقاومتها الجهل. وفيما يختص بالعمل الخلاصي لربنا يسوع المسيح، يقول ج. ن. د. كيلى[4]، إن اللوغوس هو معلمنا، وهو الذي منحنا الناموس، والمِثل الأعلى لنا الخ.[5]، وبارتباطنا به، نفقد طبيعة الموت وعدم التعقل ويصير "**لنا حياة إلهية وتعقل**[6]". إنه "**نموذج الحياة الكاملة**"، ومِثال الفضيلة الحقيقية التي يتحوّل إليها المسيحيون[7]، فيصير في إمكانهم أن يكونوا شركاء في الطبيعة الإلهية[8]. يقول أوريجينوس: "**بواسطة ظهوره في الهيئة الجسدية، وببذل ذاته كجسدٍ، يدعو لنفسه، أولئك الذين هم في الجسد، حتى يحولهم أولاً إلى شبه الكلمة الذي صار جسدًا، ثم يرتفع بهم حتى ينظروا إليه كما كان قبل التجسد**[9]". وأيضًا، "**مع المسيح، بدأ الناسوت واللاهوت يتداخلان معًا في نسيج واحدٍ، حتى يمكن للطبيعة البشرية أن تتأله، خلال مشاركتها مع اللاهوت**[10]."

يمكننا القول إنه بكون أوريجينوس نفسه معلّما، كان يعتبر إلهه معلِّما أيضًا، مسئولاً عن تعليم أولاده، وينظر إلى

---

[1] *Cf. De Principiis 1:6:1f; 3:5:6.*
[2] *Cf. De Principiis 1:2:10.*
[3] *R. Cadiou: Origen, Herder Book Co., 1944, p. 300-301.*
[4] *See J.N.D. Kelly, page !84-5.*
[5] *De princ. 4:1:2; 4:3:12; Contra Cels. 2:52;3:7.*
[6] *In Joh. 1:37:268.*
[7] *Contra Cels. 8:17.*
[8] *De Princ. 4:4:4.*
[9] *Contra Cels. 6:68.*
[10] *Contra Cels. 3:28.*

عالم الله كمؤسسة تعليمية شاسعة، فيها كل ما يتصل بتعليم الإنسان الحر [1].

من كلمات يوحنا في إنجيله: "أما النعمة والحق، فبيسوع المسيح صارا" (يو 17:1). وأن المسيح هو "الحق" (يو 6:14) في شخصه، مبينًا أن المنبع الوحيد الذي يعتد به للحياة المسيحية، يتركز في كلمات المسيح وتعاليمه. ويضيف أوريجينوس أن كلمات المسيح لم تشمل فقط الكلمات التي نطق بها وهو في الجسد، "**إذ كان المسيح أيضًا هو كلمة الله الفعَّالة في موسى والأنبياء**".

❖ **الروح الذي عمل في الأنبياء كان هو المسيح. فهو الذي وهبنا روح النبوة**[2].

يرى أوريجينوس أن يسوع سمح للظلمة أن تنزل على نفسه، حتى يمكن أن تُطرد من نفوسنا. كيف أمكن للظلمة أن تلحق به؟ الكلمة هي أسرع من قوى الشر، وهو دائمًا يقهرها. فبانتظاره لها، كما فعل في مأساة آلامه، أوقعها في الفخ، وإذ اقتربت منه صار هلاكها أمرًا حتميًا. فالفداء إذن هو الجانب الأول للاستنارة. إنه صراع يواجه فيه الحق قوى الظلمة قبل أن يمحوها تمامًا[3].

2. الخلاص والمصالحة مع الله

❖ **"لنا سلام مع الله" (رو 1:5)، من خلال ربنا يسوع المسيح الذي قام بمصالحتنا مع الله من خلال ذبيحة دمه. جاء المسيح لكي يُهْلِك الأعداء، ويصنع السلام، ويصالحنا مع الله الذي فَصَلْنَا عنه حاجز الشر، الذي أقمناه بخطايانا**[4].

3. الخلاص وهزيمة الشيطان

يعلن أوريجينوس في تفسيره لعمل المخلص وموته: "**لم يقم فقط كمثال لمن يموت في سبيل الدين، بل أدى إلى بداية هزيمة الشرير، أي الشيطان الذي سيطر على الأرض بأسرها**[5]". فمنذ لحظة ميلاده، كانت حياته صراعًا مع قوى الظلمة[6]. كانت هزيمتها النهائية في آلامه وقيامته. يستشهد أوريجينوس[7] بكولوسي 15:2 ليثبت أن موت المخلص له صورة مزدوجة: بكونه مثالاً، وفي الوقت نفسه إكليلاً لانتصاره على الشرير، الذي تحقق على الصليب "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ".

---

[1] *Jean Daniélou: Origen, p. 276.*
[2] *Sel Lam. 4:20.*
[3] *R. Cadiou: Origen, Herder Book Co., 1944, p. 300.*
[4] *Comm. on Rom. 4:8.*
[5] *Contra Celsus 7:17.*
[6] *Contra Celsus 1:60:6:45; hom. in Lucia. 30:31.*
[7] *Hom. in Jos 8:3; in Matt 12:40.*

يُنظَر إلى الخلاص أساسًا خلال الصراع بين الخير والشر، بين الله والشيطان. ويؤكد أوريجينوس أن المسيح، بكونه اللوغوس، ينتصر على القوى المضادة بحكمته، "**يشن الحرب على أعدائه بالحُجَّة والبرّ، حتى يقضي على الحماقة والشر**[1]". فالعقيدة الصحيحة تؤدي إلى الانتصار على الخطيئة[2]. يسطع النور ليس على ظلمة النفوس البشرية فحسب، بل ينفذ إلى حيث يكمن ويواصل سلاطين الظلمة حربهم ضد جنس البشر، وبسطوعه على هذه الظلمة، يطارد الظلام النور لكنه لا يدركه[3]. يقول يانج Young، إن هزيمة الشيطان هي في حقيقة الأمر الموضوع الرئيسي الهام في اللاهوت الخلاصي لأوريجينوس. ففي عمله *De Principiis* يخصص فصلاً كاملاً عن "كيف أن الشيطان والقوى المضادة، طبقًا للكتاب المقدس، في حالة حرب مع الجنس البشري[4]". ويلعب نشاط الشياطين دورًا كبيرًا في حوار أوريجينوس مع صلسس[5]، وتمتلئ عظاته عن سفر يشوع بالحروب ضد الشيطان، لأن حروب يشوع هي رموز لحروب المسيح وأتباعه ضد الشيطان وملائكته[6]. وفي التعليق على رسالة رومية،[7] يشرح أوريجينوس التجسد وعمل المسيح، من خلال مَثلٍ يعبر فيه عن هذا الموقف اللاهوتي الخلاصي: كان هناك ملك يتصف بالعدل والنُبل، في حربٍ ضد مستبدٍ ظالمٍ، وكان يحاول تجنب استخدام العنف وسفك الدماء لأن بعضًا من رجاله كانوا يحاربون في صف ذلك المستبد، وكان راغبًا في أن يحررهم، لا أن يهلكهم. فاتخذ لنفسه الزي الذي يلبسه جنود عدوه، حتى نجح في إقناع رجاله بهجر المستبد والعودة إلى مملكتهم الحقيقية. بذلك نجح في ربط "القوي"، وقضى على الرؤساء والقوات التابعين له، كما نجح في استعادة جثث الأسرى الذين ماتوا في الحرب. كانت هذه الفكرة أساسية في كل مفهوم أوريجينوس عن الخلاص، والنظرية التي يستند إليها في شرح كل المشاكل اللاهوتية الخلاصية (السوتيريولوجية)[8].

4. الخلاص والطاعة للمعلم الإلهي

يقول فرانسس يونج، أن اللاهوت الخلاصي بالنسبة لأوريجينوس يشتمل على موضوع هام آخر يتصل بفكرة المسيح كمعلمٍ، وهي وصفه **كمثالٍ للطاعة** التي ينبغي للمسيحيين إتباعه بكونه الطريق. نرى ذلك بوضوح، خاصةً في الدعوة إلى الاستشهاد الذي هو قمة الالتزام "**بالنمط الكلي للحياة كما ينص عليها الإنجيل**[9]"، وهذا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة

---

[1] *Comm. on John 2:4.*
[2] *Comm. on Rom. 6:3.*
[3] *Comm. on John 2:21; Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p. 174.*
[4] *De Principiis 3:2; also 1:5:1; 3:3:6; 3:5:6.*
[5] *Contra Celsus 8:55-57, etc.; also 1:31; 6:43; 7:17; 8:44,54.*
[6] *Hom. on Jos. 12:1; 7:3-6,7; 9:4,5.*
[7] *Comm. on Rom. 5:10; also 5:1,3,6,7,10; 4:8.*
[8] *Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p. 173 ff.*
[9] *Exhort. on Martyrdom 12. See also Comm. on Rom. 4:10; 7:3,13; Contra Celsus 7:17; 8:44.*

الاستنارة التي ذكرناها قبلاً. فبإتباع مسيح السماوات، خاصة خلال الاستشهاد، يفهم البشر ما لم يفهموه من قبل، يفهمون كل الخفايا والأسرار، التي هي طبيعة الحق المُدرك وجماله[1]. لكن، مرة أخرى، يُعتبر هذا الوصف للعمل الخلاصي للمسيح جزءً من صورة الصراع ضد الشيطان وملائكته. إذ أنه، وقبل كل شيءٍ، إن "**الشهداء في المسيح يسلبون معه الرئاسات، والقوات قوتهم، وينتصرون معه بالمشاركة في آلامه وفي الإنجازات العظيمة التي تمت بآلامه، من بينها الانتصار على الرئاسات والقوات، التي سرعان ما تراها منهزمة ومقهورة بالعار**[2]".

الطاعة وإنكار الذات والتواضع والموت عن الخطيئة والاستشهاد الروحاني[3] هي أيضًا محاكاة للمسيح. كلها جزء من العمل التعليمي للمخلص، ومن أحداث دراما الانتصار على الشر، وهي تقود إلى الفضيلة وشركة الطبيعة الإلهية. فاصلاح ما قد فسد، والتصرف مع العدو الذي سبب الفساد، هي أساسًا من أعمال المسيح[4].

5. الخلاص والشفاء من عبودية الفساد

هو عملية شفاء تتم على يديّ **الطبيب الحقيقي الذي هو في الوقت ذاته الدواء**. يأتي المسيح بالشفاء للمرضى بالخطيئة[5]، وبالقيامة والحياة للموتى أخلاقيًا[6]. لقد جاء إلى موتنا ليُخلِّص البشرية من عبودية الفساد[7]. وهذا أيضًا جزء من انتصار المسيح على سطوة الموت والخطيئة والشيطان. فللشيطان قوة الموت، وهو عدو للذي هو الحياة[8].

❖ **ليس أمام من ينشد الشفاء سوى أن يتبع يسوع**[9].

❖ **تعال الآن إلى يسوع، الطبيب السماوي. أُدخل إلى هذه العيادة، التي هي كنيسته.**

أُنظُر. فهناك يرقد أعداد من الضعفاء. تجد امرأةً تطلب التطهير (مر 25:5؛ لا 12). كما تجد أبرصًا معزولاً "خارج المحلة" بسبب دنس برصه (مر 40:1، لا 46:13).

إنهم ينشدون الشفاء من الطبيب، يطلبون كيف يصبحون أصحاء، وكيف يتطهرون.

يسوع الطبيب هو نفسه كلمة الله. أنه يُعِدُّ الدواء لمرضاه، لا من مستحضرات أعشاب، بل من قُدسِيات الكلمات.

---

[1] *Exhortation of Martyrdom 13.*
[2] *Exhortation of Martyrdom 42.*
[3] *Comm. on Rom 9:39; 5:8-9; also Contra Celsus 2:69; De Principiis 4:4:4.*
[4] *De Principiis 3:5:6; Frances M. Young, p. 175.*
[5] *Comm. on Matt. 11:18; Contra Celsus 8:72; 3:60.*
[6] *Comm. on Rom. 5:1-9.*
[7] *Comm. on John 1:25,28, 35; 2:6; 10:4.*
[8] *See Comm. on Rom. 5:1-9; Comm. on Matt. 13:9; Hom. on Jos. 8:6; Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p. 175.*
[9] *Commentary on Matthew, Book 13:2 (Cf. ANF).*

إذا ما نظر أحد إلى هذا الدواء اللفظي الذي يتناثر بلا ترتيب في ثنايا الكتب، ولم يعرف قوة مُفْرَد الكلمات، بل ربما يعدل عنها كأشياء رخيصة تنقصها البلاغة. أما أن من يَعْلَم أن دواء النفوس هو في المسيح ذاته، فسيفهم حتمًا من هذه الكتب التي تُقرأ في الكنيسة، كيف أنه يجب على كل شخص أن يجمع أعشابًا مفيدة من الحقول والجبال، أعني قوة الكلمات، لكي يحصل من هو عليل النفس على الشفاء، لا بقوة الأغصان الخارجية (للنباتات الطبية) والقشرة السطحية، بل بما هو العصارة الداخلية الفعالة[1].

- ❖ **توجد أيضًا أمور أخرى كثيرة خافية عنا، لا يعلمها إلا طبيب نفوسنا. ففيما يختص بصحتنا الجسدية، نجد لزامًا علينا في بعض الأحيان أن نتعاطى أدوية كريهة ومرة الطعم، كعلاجٍ لأمراضٍ جلبناها على أنفسنا من خلال الطعام والشراب. كما يحدث إذا ما استلزمت طبيعة الداء أن تحتاج إلى معالجة قاسية بمشرط الجراح في عملية جراحية مؤلمة. نعم، وإذا حدث أن امتد المرض إلى حد يتجاوز تأثير هذه الوسائل العلاجية، يصير اللجوء في آخر المطاف، إلى حيث لابد أن يكون العلاج هو كي الداء بالنار. كيف يتسنى لنا أن ندرك إذن، أن الله طبيبنا، يرغب في غسل أمراض نفوسنا التي جلبتها علينا العديد من الخطايا والجرائم، ويستخدم علاجًا تأديبيًا من أنواع مماثلة قد تصل إلى حد توقيع عقوبة النار على الذين فقدوا صحة نفوسهم[2].**

في اعتقاد أوريجينوس أن الذين بلغوا الكمال، هم في حاجة إلى يسوع لا كطبيب بل كمعلم.

- ❖ **لا نجد أي ذكر للشفاءٍ بين التلاميذ. فلكي يصل المرء أن يصير تلميذًا ليسوع لابد له أن يكون كاملاً. وبكونه صحيحاً، يحتاج إلى يسوع لا كطبيبٍ، بل كمصدرٍ لقوى أخرى[3].**

6. الخلاص والتمتع بالكفارة

يقول فرانسس يونج، إن كل ما سبق من طرق مختلفة للتعبير عن عمل المسيح، يقود إلى النظرية التقليدية للكفارة. فالعمل الخلاصي أولاً، هو إخضاع قوى الفساد، يتبعه إعلاء للإنسان عن طريق الشفاء والتعليم. يبدأ العمل الكَفَّاري في فكر أوريجينوس بانتزاع للقوى الشريرة، الموت والخطيئة التي تستبد الطبيعة البشرية، يعقبه مصالحة للطبيعة البشرية مع الله.

- ❖ **ما من إنسان يمكنه أن يموت مع يسوع الذي مات حتى نحيا. فقد أخطأ الجميع، وصاروا في احتياج إلى آخر لكي يموت عنهم، لا أن يموتوا هم عن آخرين[4].**

---

[1] *Homilies on Leviticus 8:1 (See Frs. of the Church)*
[2] *De Principiis 2:10:6 (Cf. Butterworth).*
[3] *Comm. on Matt., book 11:3.*
[4] *Comm. Ser. Matt. 88 on 26:33-35.*

يظهر هذا الوصف لعمل السيد المسيح في تفسيره المجازي لطقوس يوم الكفارة كما ورد في سفر اللاويين 16. فكانوا يقدمون اثنتين من الماعز أمام الرب عند باب الهيكل (لا 7:16)، ترمزان إلى باراباس ويسوع. أطلق بيلاطس باراباس حيًا مع خطايا الشعب فوق رأسه. بينما قدم يسوع كذبيحة للخطيئة، كي تغطي خطايا أولئك الذين كانوا مستحقين الغفران[1]. والبَرّية التي أرسل إليها كبشا الفداء، كانت مكانًا خاليًا من الفضائل، خاليًا من الله، خاليًا من العدالة، خاليًا من المسيح، وخاليًا من أي شيءٍ صالحٍ. وكان على من قام بإطلاق كبشا الفداء إلى البَرّية أن يكون متطهرًا. ولابد أن يُفْهَم أنه يمثل الرب ذاته، مخلِّصنا. ويعقد أوريجينوس مقارنه بين كلا المهمتين. فيشير أولاً إلى أنه كما كان ذلك الرجل يغسل ثيابه عند المساء، كذلك فعل المسيح إذ طَهَّرَ (غطاء) جسدنا ودمنا، أي الطبيعة البشرية التي أخذها منا. ثم يفسر إخراج كبش الفداء بلغة بولس في كولوسي 15:2: "سَمَّرَ على الصليب الرئاسات والسلاطين المعادين، ظافرًا بهم". هذا يعني أن أوريجينوس يؤكد أنه هذا الرجل المستبد أخرجها إلى البرية، كذلك أخرج المسيح حشود الأرواح الشريرة وسلاطين الظلمة في هذا العالم، ظافرًا عليهم في داخله. فلم يكن لأحد غيره، القدرة على إخراجهم إلى البرِّية الموحشة، أي إلى الجحيم. وإذ عاد بعد أن أنجز عمله، فهو قد صعد إلى السماء، حيث أكمل تطهيره على المذبح السماوي، حتى يقوم بتقديم عهد لجسدنا الذي أخذه معه بنقاء. هذا كان "موت كفاري"، حيث يصفح الله عن البشر عندما تُمحى الخطيئة، وتُبعد القوى المعادية، وتتطهر الطبيعة البشرية، حينئذ تتم المصالحة مع الله.

7. الخلاص والسمو بالمسيح إلهنا

بالنسبة لأوريجينوس، أعطى موت المسيح الكفاري للبشرية، السبيل للهروب من سيطرة قوى الشر، **وللشركة في الطبيعة الإلهية**[2].

❖ **يأتي لاهوت المسيح من أعلى، وبواسطته توهّجت هذه النار، لذلك صار ملائمًا أن تلهب النار السماوية كل تلك**

[1] *In Lev. Hom. 10:2.*
[2] *De Principiis 4:4:4; Frances M. Young, p. 184.*

الأمور التي تمت في الجسد بواسطة المخلص، وإن تعود بكل شيءٍ إلى طبيعة اللاهوت. حقًا اتَّحَدَت ذبيحة المحرقة في جسده، والتي قُدِّمَت من خلال خشبة الصليب، الأرضيين مع السماويين، البشريين مع الإلهيين[1].

- **فبالنسبة للقدماء، كانت تذبح الخراف والكباش والماشية والطيور، كما كان يُبلّ الدقيق. أما بالنسبة لك فقد ذُبِحَ ابن الله. فكيف تُسَعدُ بالخطيئة بعد ذلك؟ ولكن لئلا يبني هذا أرواحكم بالفضيلة، بقدر ما يهبط بها إلى اليأس، فقد سمعتم بعدد الذبائح التي كانت تُقدم عن الخطايا في الناموس. فلتسمعوا الآن عن فيض المغفرة عن الخطايا في الإنجيل[2].**

- **يا لهذه الأمور العظيمة. فهو الباراقليط، والكفارة، والاسترضاء، والمتعاطف مع ضعفاتنا. الذي جُرِّبَ في كل شيءٍ مثلنا، لكن بدون خطيئة. لهذا فهو الكاهن الأعظم الذي قَدَّمَ ذاته ذبيحة مرة واحدة عن الجميع، ليس بالنسبة للإنسان فحسب، بل من أجل كل الخليقة العاقلة[3].**

8. الخلاص وتمجيد المؤمنين

خلال قيامة المسيح يتذوق **المؤمنون** عربون مجد القيامة. ففي القيامة تمجدت بشرية المسيح. ونحن ككنيسة، من حقنا أن نتمجد من خلال الوحدة معه. فقيامة المسيح هي مثال لتمجيد المؤمنين.

- **لكي يمنحنا بركات المولودين في المسيح، صار "باكورة الراقدين"، حتى يكون له الأولوية في كل شيءٍ. فيأخذنا نحن المؤمنين بقيامته كأول ثماره. هذا حقًا إذا تَمَسَّكْنا بنعمة هذه البركات حتى النهاية، فتساندنا رحمة ربنا يسوع المسيح نفسه[4].**

موت المسيح كذبيحة كفَّارية

يستخدم أوريجينوس ما تنبأ به إشعياء 4:53 عن آلام المسيح قائلاً: "**أحزاننا حملها، وهو مسحوق لأجل معاصينا، تأديبنا عليه، لكي نتأدب وننال سلامًا**"[5]. وفي فقرات معينة يقرر أوريجينوس أن موت المسيح يُفْهَمُ على أنه دفع دمه الثمين للشيطان الذي بعنا أنفسنا إليه حتى إذ يظن الشيطان أنه نال الثمن بقبوله المسيح عوض البشرية إذا به يُصلب ويفقد سيطرته.

- **بكونه المضحي، صار يبذل دمه كفّارة من أجل غفران الخطايا السابقة. غير أن هذه الكفَّارة يحصل عليها كل**

---

[1] *In Lev. hom. 1:5 (cf. G.W. Barkley - Frs. of the Church).*
[2] *In Lev. hom. 2:4 (cf. G.W. Barkley - Frs. of the Church).*
[3] *Comm. on John, book 1:40.*
[4] *Homily on Numbers [3:4]: Drewery 132.*
[5] *In Joh. 28:19:165.*

مؤمنٍ بطريق إيمانه. فمن المؤكد أن الكفَّارة قد تحققت بسفك الدم المقدس (عب 22:9)[1].

- **والآن، قد مات المسيح من أجلنا. كيف؟ بكونه حمل الله. حمل خطايا العالم، وتحمل ضعفاتنا، وتألم من أجلنا، كما سبق أن شرحنا في مواقف أخرى، ذكرنا فيها كأمثلة روايات وردت في التاريخ الإنساني، قيل فيها أن بعض الأشخاص طردوا الاوبئة والعواصف وما أشبه. وبإلقاء أنفسهم في قبضة الموت، حرروا أوطانهم أو أنقذوها من كوارثٍ تهددها. ما هي احتمالات صدق تلك الروايات وما هو التفسير العقلاني لها، الله وحده يعلم. لكن لم يُقل أن أحدًا منهم، حتى في الخيال، أنه حرَّر العالم بأسره، فيما عدا يسوع وحده "الذي مع كونه إلهًا، لم يعتبره خلسة في أن يكون مساويًا لله (الآب)، لكنه أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد"، وقُدِّمَ ذبيحة من أجل العالم كله[2].**

- **حقًا لم يفعل المسيح خطيئة، لكنه "صار خطيئة نيابةً عنا"، عندما تنازل وهو في شكل الله، لكي يصير "في شكل العبد". عندما يموت وهو غير الخاضع للموت. ويتألم وهو غير القابل للألم. ويُرَى وهو غير المنظور. ولأن حكمة الموت وسائر ضعفات الجسد قد صارت علينا من جرَّاء واقعنا الخاطئ، فالمسيح ذاته، الذي أخذ شكل الإنسان وتواجد في هيئته، "قُدمَ ذبيحة لله" كشاةٍ بلا عيب، أي جسده الذي بلا دنس، كمقابل للخطيئة التي أخذها على نفسه منا، "حاملاً آثامنا[3]".**

في الوقت نفسه، يؤمن أوريجينوس أن الكلمات التي تدل على الكفَّارة، لم يقصد منها قطعًا التخلص من الغضب الإلهي للآب. فقد كانت إحدى المشاكل التي واجهها هو ومعاصريه، هي التحدي الذي كانت تمثله آراء مرقيون من أن المسيح قد أُعلن عنه بكونه إله المحبة، في حين كان إله العهد القديم هو إله العدل والغضب، مميزًا إيَّاه عن أبي يسوع المسيح. لهذا السبب ربما اضطر أوريجينوس إلى توضيح غضب الله في عظات كثيرة[4]. يتحدث أوريجينوس[5] عن يسوع الذي قدَّم نفسه أو حياته فداء عن كثيرين. فلمن قدَّمَها؟ في رأيه أنه لم يكن للآب بغير شك، بل بالأحرى للشيطان الذي كانت له السيطرة علينا، إلى أن أُعْطِيَت له نفس يسوع عوضًا عنا. قَدَّم نفسه مقابل نفوس البشر التي طالب بها الشيطان كدينٍ واجب الأداء. تَقَبَّل الشيطان هذه المقايضة، إلا أنه لم يستطع أن يمسك بيسوع في قبضته، هذا الذي أثبت أنه أقوى من الموت، وحُرِمَ بذلك من ضحيته. خُدِعَ الشيطان بعد أن ظن أن في استطاعته أن يسود على نفس يسوع، وغاب عنه أنه لا يتحمل عذاب أن يمسك بها[6]. بذلك صارت الحياة التي قُدمت ذبيحة، والدم الذي سُفِكَ كفَّارة – في رأي أوريجينوس – بمثابة فدية سددها الله للشيطان. فالآب القدوس "لم يشفق على ابنه الوحيد، بل بذله من أجل جميعنا"،

---

[1] *Comm. on Rom. 3:8 on 3:25.*
[2] *Comm. on Rom. 4:11; see Frances M. Young, p. 182-3.*
[3] *In Lev. hom. 3:1.*
[4] *Frances M. Young, p. 185 ff.*
[5] *In Matt. 16:8; 12:28; In Joh. 6:53:274: Hom. In Exod. 6:9; etc.*
[6] *Comm. on Matt. 16:8; Young, p. 183.*

كحمل الله الذي يموت عن كل إنسان ليحمل خطيئة العالم[1].

- **على أيّ الأحوال، فإن خطيئة الجميع لم يمحها الحمل، بغير أن يتحمّل الآلام والأوجاع عن الخطاة. فلم تنثر الأشواك فقط، بل غُرزت بعمق في أيدي كل إنسان أسكرته الشرور، ففقد القوة على أن يصحو من إثمه[2].**

ذبيحة المسيح والذبائح الحيوانية

في رسالته إلى العبرانيين، شرح القديس بولس بوضوح الفرق بين الذبائح الحيوانية وذبيحة المسيح. فالأولى كانت تتكرر لضعفها وقصورها عن تجديد عمق الطبيعة البشرية. أما الأخيرة فقد تم تقديمها مرة واحدة فقط، لكونها مازالت قادرة على تجديد إنساننا الداخلي. أوضح أوريجينوس أن الذبائح الحيوانية كانت تُستهلك بالأكل أو بإحراقها. أما ذبيحة الإله، فهي ليست حيَّة فحسب، بل أيضًا تعطي الحياة لمن يشترك فيها. لم يُقَدِّم يسوع المسيح – الكاهن والذبيحة في نفس الوقت – دمًا حيوانيا يُستهلك، بل دَمَهُ الواهب الحياة والقيامة والخلود. فهو يغيِّر المؤمنين به على الدوام من الخضوع للموت إلى الخلود، ويخلصَّ طبيعتهم حتى يصيروا شركاء في حياته ويحملوا شبهه.

ذبيحة المسيح من أجل الخطيئة[3]

كان ينظر أوريجينوس إلى الارتباط بين التفسيرات المختلفة لموت المسيح من جهة وطرق تَفَهُّمْ ذبائح العهد القديم من جهة أخرى، إلا أنه كثيرًا ما استخدم لغة العهد القديم في وصف موت المسيح، دون أن يحاول شرح كيفية التي كانت تعمل بها ذبيحة الخطيئة. لهذا – في فقرات عديدة – كانت آراؤه تبدو مطابقة لفكرة الكفَّارة كما وردت في العهدين القديم والجديد. ففي ظل العهد القديم، كانوا يحاولون محو الخطايا بدم الثيران والماعز، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك. فبسبب عدم جدواها، جاء ابن الله في شبه جسد الخطيئة، ومن أجل الخطيئة. أدان الخطيئة في الجسد، إذ صار ذبيحة للخطيئة، وقُدِّمَ للتطهير من الخطيئة. لا يقدم أوريجينوس سؤالاً بخصوص المبدأ، فالعهد القديم كله يشهد بذلك. فكما رأينا بالفعل، كان محو الخطيئة هي فكرة أوريجينوس خلال الكفَّارة. لذلك، وكما هو الحال في العهد الجديد، أُستخدمت المفردات اللغوية للكفَّارة في هذا المجال.

في مناسبات معينة، يحاول أوريجينوس أن يشرح كيف يمكن لذبيحة المسيح أن تمحو الخطيئة. فكما جاء في سفر اللاويين، كان الكهنة يأكلون تقدمات الخطيئة. لذلك – كما يقول أوريجينوس – فإن المسيح ككاهن وذبيحة في ذات الوقت، كان يأكل خطايا الشعب. الله هو نار آكلة. الله الناري يأكل خطايا البشرية. يأخذها على عاتقه ويفترسها ويطهرها. فالمسيح إذن، أخذ خطايانا على عاتقه، وكنارٍ، أكلها واستهلكها بنفسه.

---

[1] *Contra Cells 8:43; Frances M. Young, p. 183-4.*
[2] *Comm. on John 6:55.*
[3] *Frances M. Young, p. 179 ff.*

وفي تفسير آخر يعتمد بقوة على أفكار العهد القديم. فإن المسيح كان ذبيحة تقدمة بلا أي عيب. ولما كانت الطهارة، بشكل ما، قابل للعدوى، فإن كل من يلمس لحم تلك الذبيحة كان يتقدس.

اعتمدت كل هذه المحاولات للتفسير على تَقَبُّل لغة وأفكار الكتاب المقدس في تأكيد حقيقي أن الذبيحة قد تعاملت مع الخطيئة على أن تُزال، ولكنها لا تشرح بشكلٍ كافٍ كيف يتم ذلك.

كلما احتاج أوريجينوس إلى شرحٍ ما، يلجأ إلى النظرية التقليدية مثل:

❖ **جُعِلَ الخروف المذبوح، لأسباب خفية معينة، هو تطهير ونقاء للعالم كله. لذلك، بمحبة الله للبشر استسلم للموت، مستعيدًا إيانا بدمه، من ذاك الذي أخذنا بقوته، مُباعين بواسطة خطايانا.**

طبيعة الذبيحة التي قَدَّمَها المسيح

تسمو ذبيحة المسيح عن ذبائح العهد القديم، لأنها تحدث في السماء[1]. ففي عظاته على سفر اللاويين[2] Homilies on Leviticus، يتطلع أوريجينوس إلى ذبيحة المسيح على الأرض، أي موته فوق الصليب، بمثابة رمز لذبيحته السماوية. لكنه يقدم تمييزًا مختلفًا تمامًا بينهما. وذلك كما كان الكاهن في القديم يُقدم ثورًا واحدًا على المذبح كمحرقة، ثم يقدم آخر كذبيحة خطيئة تُحْرَق خارج المحرقة، فهناك فرق بين المحرقة وذبيحة الخطيئة. كتفسيرٍ مجازي لهذا، قَدَّم المسيح محرقة على المذبح السماوي. أما على الأرض، أي خارج المحرقة السماوية، حيث سادت الخطيئة منذ أيام آدم، فقَدَّمها للخطيئة. ربما يعتبر أوريجينوس تقدمة المسيح السماوية كذبيحة هي هبة، ذبيحة تمجيد، وعبادة وشكر (باسم الكنيسة).

كثيرًا ما يشير أوريجينوس إلى الذبائح المسيحية على أنها تقليد للمسيح، وإلى الاستشهاد على أنه محرقة، بالطاعة الكاملة وبتقليد المسيح الذي يقودنا إلى الموضع المقدس، ويجعل من المسيحيين شركاء في الذبيحة الإلهية. فذبيحة المسيح كانت تقدمة العبادة الكاملة والطاعة لله، المثال الذي يلتزم المسيحيون بمحاكاته[3].

❖ **أنظر إذًا فيما إذا كان من المحتمل أن يكون يسوع، الذي قال عنه بولس، أن من خلال دمه "قد صنع سلامًا، ليس مع الأشياء الأرضية فقط، بل أيضًا مع تلك التي "في السماء"، هو الذبيحة (الثور) نفسها التي قُدِمَت "في السماء"، ليس "للخطيئة" بكل تأكيد ولكن كتقدمة. أما على الأرض "حيث ملكت الخطيئة من آدم إلى موسى"، فقُدم "للخطيئة"، هذا الذي تألم "خارج المحلة"، خارج تلك المحلة التي شاهدها يعقوب على ما أظن، فإن المحلة السماوية لملائكة الله التي كُتب عنها في سفر التكوين: فلما رفع عينيه نظر يعقوب محلة الله في روعتها،**

---

[1] *In Lev. hom. 1:3.*
[2] *In Lev. hom 1:3:3.*
[3] *Frances M. Young, p. 215.*

والملائكة صاعدين إليه. فلما رآهم قال يعقوب: هذه محلة الله (تك 28: 17). خارج هذه المحلة السماوية، هو كل ما نعيش فيه، هذا المكان الأرضي حيث تألم المسيح بالجسد[1].

المسيح هو الكاهن الأعظم

تعبير القديس كيرلس الإسكندري "المسيح هو المذبح والذبيحة والكاهن[2]" مُقتبس من أوريجينوس[3].

❖ **حقيقة أن إسحق قد حمل حطب المحرقة رمزًا لحمل المسيح لصليبه. وإذا كان حمل حطب المحرقة هو مهمة الكاهن، فالمسيح إذن هو الذبيحة والكاهن معًا[4].**

ليس فقط ذبائح العهد القديم هي التي تشير إلى المسيح، ففي المسيح تحققت ظلال وصور الكاهن الأعظم. ففي دوره ككاهن أعظم، تقدم للآب بذبيحة حقيقية، هو فيها بذاته الذبيحة، بها يسترضي الآب[5].

❖ **لأنه ليس أحد صالحًا إلا واحد، وهو الله الآب (مت 17:19)، كذلك بين الأنهار ليس نهر صالح سوى الأردن، ولا يقدر نهر آخر أن يطهر من البرص. فلا يطهر إلا ذاك الذي له إيمان باغتسال نفسه في يسوع (الأردن). أظن أن هذا هو السبب في بكاء الإسرائيليين حينما جلسوا على ضفاف أنهار بابل، وتذكروا صهيون. أولئك الذين سُبوا بسبب شرورهم، إذ ذاقوا مياهًا أخرى بعد مياه الأردن المقدس، تذكروا بشوق نهر خلاصهم. على أنهار بابل "جلسوا"، إذ لم يعد بهم القوة على الوقوف، وبكوا. وكما وبَّخ إرميا أولئك الذين اشتهوا أن يشربوا من مياه مصر، متجاهلين بذلك المياه التي تنزل من السماء، وبذلك صارت تسميتها "النازلة إلى أسفل"، الأردن[6].**

يفسر أوريجينوس موت المسيح بأنه عمل تبديل أو أنه ذبيحة كفَّارية. ويبرهن[7] أن يسوع بصفته قائدًا للكنيسة، هو رأس لجسدٍ نحن أعضاؤه. وقد أخذ خطايانا على عاتقه وحملها، وحمل عنا الآلام بإرادته. وككاهن حقيقي قَدَّمَ للآب ذبيحة حقيقية، هو نفسه الذبيحة، بها يسترضي الآب[8]. فالابن يُقدم تقدمات المسيحيين من حنوٍ وعدلٍ وتقوى وسلام[9]. يقدم حياة المؤمنين التي تغيَّرت[10].

---

[1] *In Lev. 1:3:3 (Barkley).*
[2] *PG 68:596-604.*
[3] *Jean Daniélou: The Bible and the Liturgy, Michigan 1979, p. 130 n.*
[4] *In Gen. hom. 8:1.*
[5] *In Rom. 3:8.*
[6] *Comm. on John, book 6:28.*
[7] *Hom. in Lev. 1:3.*
[8] *In Rom. 3:8.*
[9] *In Lev. hom 9:6.*
[10] *Comm. on Rom. 4:8.*

❖ **المسيح هو الكاهن الأعظم الذي بدمه جعل الله يشفق عليك، ويتصالح معك في الآب**[1].

سرّ الصليب

يقول هنري دي ليباك: [يظل الإعلان بأن المسيح المصلوب له أهميته الأساسية؛ لأن "تدبير الآلام" هو المركز (عند أوريجينوس). إنه "التدبير" الرئيسي بغير منازع. يُعَلِم أوريجينوس أنه لا يمكن شفاء بَرَص الخطيئة بدون خشبة الصليب. وأن دم المسيح خلص الكنيسة ككل، دون تمييز بين الطبقات. كما يُعَلم أن موت المسيح هو شجرة الحياة لنا جميعًا. وإن كل الثمار تأتي من هذا الموت، مثل حبة القمح التي لابد لها أن تقع إلى الأرض وتبدو كأنها هلكت. ويُعلن أن كل مجد الكنيسة وثروتها، تتركز في آلام المسيح. فلكي يهتدي الإنسان، ليس أمامه إلا أن "**يأتي إلى صليب المسيح**". وإن حكمة الإنسان الكامل لا تأتي من أية معرفة أخرى غير التأمل "**في الأسرار العميقة التي يكشف لنا عنها بولس**"، ثم في رفض حكمة العالم... فلا مفر من أن تُصْلَب عن حكمة هذا العالم، حيث التناقض الكلي بين الطريق الضيق للخلاص، كما يظهر لنا في صليب المسيح، والطريق الواسع والسهل الذي يسعى حكماء هذا العالم لأن يشغلوننا به. لا يمكن اكتساب "رؤية اللوغوس" إلا بدفع ثمن الموت عن العالم وبتكلفة المحن الشديدة. ومهما كان سمو هذه الرؤيا، فهي لن تجعلنا نفقد صورة يسوع المصلوب، الذي هو في نفس الوقت الكاهن والذبيحة. ليس هناك من حكمة تعفينا من (حمل) صليبه وإتباعه. وحتى مع الافتراض – كما فعل بولس – أننا قد أُختطفنا إلى السماء الثالثة، فليس هناك تفادي من السقوط مرة أخرى، سوى "**حمل الصليب وإتباع يسوع الذي فيه نجد كاهننا الأعظم الذي عَبَرَ إلى السماوات**"[2].]

❖ **كل نفسٍ تأتي إلى الطفولة، وتكون في طريقها إلى النضوج الكامل، وحتى ملء الزمان تكون في احتياج إلى مدربٍ ووكلاء وأوصياء. حتى وبعد كل هذا، يتقبل (المؤمن الذي كطفلٍ تحت الوصاية) لم يفرق شيئًا عن العبد مع كونه صاحب الجميع (غل 4:1–2) عند تحرره من المدرب والوكلاء والأوصياء جعالة الميراث التي تتوافق مع اللؤلؤة الفائقة الثمن الكاملة، التي بالحصول عليها تغني عن الجزئيات، ويصير في قدرة المرء قبول "فضل معرفة المسيح" (في 8:3)**[3].

❖ **كانت آلام (يسوع) على الصليب دينونة لهذا العالم بأسره. كان ذاك الحدث الإلهي على الصليب متضمنًا دينونة كل الأشياء الراهنة، مما جعله يقول عندما اقتربت لحظة الآلام "الآن جاءت دينونة هذا العالم**[4]."

---

[1] *In Leviticum hom. 9:10.*

[2] *Henri De Lubac: Origen, On First Principles, NY., 1966 (Koetschau text together with an introduction and notes by G.W. Butterworth, p. XX.*

[3] *Comm. on Matt., book 2:9.*

[4] *Comm. on John frag 89 on 12:31.*

يقرر ر. كاديو أن أوريجينوس يخبر تلاميذه أنه من خلال دراسة يسوع المصلوب يمكن الوصول إلى أعلى مراتب الحياة الروحية. لكنه يحذرهم من عدم قدرتهم على إدراك سِرّ آلام المخلص، فيؤدي بهم إلى معرفة بالمسيح بعيدة عن الكمال. إنه سرّ بلغ في صعوبته أن احتاج الرسل أنفسهم إلى إرشاد عن مغزاه، قبل أن يمكنهم فهمه وإدراك أنه يعني خلاصنا[1].

ويقول كاديو أيضًا أننا لسنا في احتياج إلى شعور بالخجل من آلام المخلص، إذ هي نابعة عن تنازله بإرادته، ورغبته البالغة في الخدمة. "**فلا نتردد أن نقول أن صلاح المسيح يظهر في ضوء أعظم وأكثر لاهوتيًا ومطابقة لصورة الآب وهو يضع ذاته**". قبوله للعبودية لم يكن غير جزء ضئيل من تضحيته. لقد مَارَس الكلمة المتجسد، في آلامه وصمته وعذاباته، وفي جميع الأحزان التي تصيب القلب البشري. وبالرغم من أن سلطانها عليه كان محدودًا لكونه بغير خطيئة، إلا أن معاناته كانت كاملة، فقد كان المخلص دائمًا، حتى مع سموه ولاهوته، راغبًا في أن تكون كذلك. كان صامتًا أمام بيلاطس، لأنه "**اشتهى أن يقاسي من أجل البشرية. فلو كان قد تكلم لَمَا كان قد صُلب في ضعفٍ**[2]".

الصليب رمز للحب الإلهي والنصرة على الشيطان

- ❖ **كل ما حدث لم يكن إلا بسبب حبه لنا غير المحدود. هذا هو الواقع سواء فيما يختص بربنا يسوع المسيح في موته من أجل الأشرار، أو بالله الآب في بذله لابنه الوحيد فداء عن الخطاة[3].**

  يعطي الصليب للمؤمنين مثالاً كاملاً كيف يبذل المسيحي نفسه حتى الموت من أجل الله.

- ❖ **ذبح المسيح العداوة في جسده، إذ بموته أعطى المثال للجنس البشري في أن الحرب ضد الخطيئة تكون حتى الموت. وأخيرًا بحسمه للعداوة في جسده ، قام دمه بمصالحة البشرية مع الله[4].**

- ❖ إنه **بالأمر المعقول أن الذي يصير نموذجًا حيًا للبشرية، يُبَيِّن لها كيف تموت في سبيل الدين[5].**

الصليب علامة النصرة

- ❖ **عندما كان الوثنيون يقودون أعداءهم في مواكب النصرة، كانوا يستعرضون فوق رؤوسهم رمزًا للانتصار على شكل صليب. وعلى هذا النمط، فنحن ننظر إلى الصليب على أنه رمز للنصرة على الشيطان. لذلك يمكن لبولس القول: "حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح"** (غل 6:14). **إنه يعلم كيف يستطيع الصليب أن**

---

[1] *R. Cadiou: Origen, Herder Book Co., 1944, p. 301.*
[2] *In Joan. 19:2 PG 14:544; R. Cadiou: Origen, Herder Book Co., 1944.*
[3] *Comm. on Rom. 6:10 on 5:6f.*
[4] *Comm. on Rom. 6:12.*
[5] *Contra Celsus 2:16.*

يحررني من الشرير، إذ اقتنيت ذلك بواسطة موت المسيح ليخلصني من الموت[1].

- **ماذا تخشى الشياطين؟ ومن أي شيء يرتعدون؟ بغير نزاع، من الصليب الذي "ظفر بهم فيه" (كو 15:2). لذلك يحل بهم الخوف والرعدة عند رؤيتهم علامة الصليب وهي مثبته في الإيمان.[2]**

في تعليق لأوريجينوس على ما جاء في سفر يشوع (*LXX* 29:8) "علق ملك عاي على شجرة مزدوجة"، يقول:

- **كان صليب ربنا يسوع المسيح "مزدوجًا". أي كان يقف على مسندين. ففي الظاهر قد صُلبَ ابن الله في الجسد. ولكن في الخفاء كان الشيطان مُسمَّرًا على ذلك الصليب مع رئاساته وقواته (كو2). لذلك يوجد معنيان للصليب: ذكر أولهما بطرس الرسول، أن المسيح المصلوب "قد ترك لنا مثالاً" (1 بط 21:2). أما الثاني فهو الإشارة إلى أن الصليب هو رمز للنصرة على الشيطان الذي صُلِبَ عليه وتمت الغلبة عليه[3].**

الصليب يجمع المؤمنين من شتى أنحاء العالم في وحدة الحب.

- **عندما رُفِعَ فوق الصليب، احتضن بين ذراعيه العالم بأسره[4].**

---

[1] *Comm. on Cor. 6.*
[2] *In Exod. hom. 6:8.*
[3] *In Josh. hom. 8:3 on 8:29.*
[4] *In Exod. hom. 11:4 on Isa. 65:2.*

يسوع المسيح كفايتنا

المسيح كمشبع النفوس

يحتاج الإنسان إلى كلمة الله، لا بصفته المخلِّص الذي يعيد نفس الإنسان إلى طبيعتها الأولى فحسب، بل أيضًا لإشباع جميع احتياجات الإنسان.

❖ **يقول الرســول لأولئك "قد صــار لهم الحواس مدّربة على التمييز بين الخير والشــر"** (عب 14:5). **لقد صــار المســيح كل من هذه الأشـياء، حتى يتناسـب مع الحواس المختلفة للنفس. فقد دُعي النور الحقيقي، حتى تجد أعين النفس شيئًا ينيرها. وهو (اللوغوس)، حتى تجد أذناها شيئًا تسمعه. ثم هو خبز الحياة، حتى تجد النفس شـيئًا تتذوقه. وبنفس الطريقة، دُعي بالناردين أو الدهن، حتى يمكن لحاسـة الشـم عند النفس أن تعي الرائحة الذكية للكلمة.**

ولنفس السبب، قيل أيضًا أنه يُمكن أن يُحَسُ ويُمسك به، ودُعي باللوغوس المتجسد، حتى تلمسه يد النفس الداخلية فيما يتعلق بكلمة الحياة (1 يو 1-1:4).

ولكن كل هذه الأمور هي الواحد - كلمة الله ذاته - الذي يتكيف مع الانفعالات المختلفة للصلاة، تبعا لتلك المسميات المتعددة، فلا يتركُ بذلك أيا من قدرات النفس خالية من نعمته[1].

يقدم المسيح نفسه لأولئك الذين يشعرون بأنهم في حاجة إليه. هذا الشعور يمنحهم استحقاق تواجده وسكناه في قلوبهم.

❖ **حقا، يمكنني القول أنه يصير كل شيءٍ يحتاجه كل مخلوقٍ قادر على التحرر. لذلك فهو يصبح نور الناس، إن كانوا، وهم في ظلمة الشرور، يبحثون عن ذلك النور الذي يسطع في الظلام الذي لا يدركه. فلا يصبح نورًا للناس لو لم يصيروا في الظلمة[2].**

فالمسيح وهو واحد، يقدم ذاته لكل مؤمنٍ حسب حالته الروحية.

❖ **توجد صور مختلفة للوغوس، في ظهوره لكل من يعرفه، حسب حالة كل منهم، إن كانوا في بدايتهم، أو حققوا تقدمًا بسيطًا أو كبيرًا، أو أولئك الذين اقتربوا من إدراك الفضيلة، أو الذين قد اقتنوها بالفعل[3].**

---

[1] *Comm. On Song of Songs, book 2:9.*
[2] *Comm. On John 1:20.*
[3] *Contra Celsus 2:16.*

❖ **المسيح حاضر في كل فرد تبعًا للدرجة التي يسمح بها استحقاقه[1].**

ألقاب المسيح

❖ **بالرغم من أن المسيح واحد في جوهره، إلا أن له عدة ألقاب تشير إلى سلطانه وأعماله. فهو: النعمة والبِرّ والسلام والحياة والحق واللوغوس[2].**

❖ **وإن التمسُك بيسوع هو تمسك باللوغوس والحكمة والبِرّ وقوة الآب. فالمسيح هو كل ذلك[3].**

كفايته للمبتدئين وللناضجين روحيًا

يميز أوريجينوس بين ألقاب المسيح، بين تلك التي تُقَدَّم للمبتدئين في روحانياتهم والتي تُقدم للذين نضجوا روحيًا. فالمجموعة الأولى تحتاج إلى المسيح الطبيب لشفاء طبيعتهم الجريحة، والراعي ليعتني باحتياجاتهم، والمخلص الذي يغفر خطاياهم. أما الآخرون فيحتاجون إليه بكونه الحكمة واللوغوس والبِرّ.

❖ **حقًا طوبى للذين في احتياجهم لابن الله، قد تجاوزوا الحاجة إليه كطبيبٍ لشفاء أمراضهم أو كراعٍ أو فادٍ، وصار احتياجهم إليه كحكمة ولوغوس وبرّ، أو أحد الألقاب الأخرى التي يقدمها لأولئك الذين يسمح نضجهم باستحقاقهم لِنعَمِهِ الأكثر سُمُوًا[4].**

المسيح هو الخيرات كلها

❖ **الآن فلنتأمل ما تقوله الأناجيل في ضوء الوعود بالخيرات. لابد لنا من القول أن الخيرات التي يعلن عنها الرسل في هذه الأناجيل هي ببساطة: يسوع. أحد الخيرات التي يعلنون عنها هي القيامة. ولكن القيامة، على وجه ما، هي يسوع، فهو القائل: "أنا هو القيامة". وكما يقول إشعياء: "ما أجمل على الجبال أقدام المبشرين بالخير" (إش 7:52). إنه يرى كم هو جميل وملائم إعلان الرسل الذين قد ساروا (في المسيح)، وهو القائل: "أنا هو الطريق". يمتدح أقدام السائرين في الطريق الفكري ليسوع المسيح، ويذهبون من خلال هذا الباب إلى الله. إنهم يعلنون عن الخيرات التي للأقدام الجميلة، أي يسوع[5].**

---

[1] *De Principiis 4:4:2.*
[2] *Comm. on Rom. 5:6.*
[3] *Comm. on John 32:31.*
[4] *Comm. on John 1:20.*
[5] *Comm. on John, 1:10.*

المسيح هو البداية والنهاية

❖ **"البداية والنهاية"، تعبير نطبقه دائمًا على شيءٍ يمثل وحدة متكاملة. فبداية أي بيت هو الأساسات، ونهايته هي حاجز السقف. ولا مفر من أن نفكر في هذا الإطار، فالمسيح هو حجر الزاوية للوحدة الكبيرة، للجسد الذي يُخَلِّصُه. المسيح، الابن الوحيد، هو الكل وفي الكل. هو كبداية في الإنسان الذي اتخذ هيئته، وهو موجود كنهاية في آخر القديسين، كما أنه موجود للذين هم بين هذا وذاك. وهو موجود كبداية في آدم، ونهاية في حياته على الأرض، طبقا للقول: "آدم الأخير صار روحًا محييًا". وينسجم هذا القول مع التفسير الذي قدمناه للبداية والنهاية[1].**

المسيح اللوغوس

يكتب جوزيف مكليلاند: [عندما يتعامل أوريجينوس مع ألقاب المسيح، يجد فيها إجاباته. فمقدمته لمؤلفه: "تفسير إنجيل يوحنا Commentary on John" هي مقال عن epinoiai. فألقابه المتعددة: الكلمة والحكمة والفادي والراعي الخ.، تعبر عن الوظائف المتعددة للوغوس. ويبدو أن "الكلمة" هو اللقب الأَسْمَى بينها، فهو اللقب الأزلي. ومع ذلك فنحن "**إذا نظرنا من خلال كل ألقابه بعناية، سنجد أنه "البدء" فقط فيما يتعلق بكونه "الحكمة". فحتى بكونه "الكلمة" فهو ليس البدء، "فالكلمة كان في البدء"** (يو1:1). **لذلك يمكن للمرء أن يجازف بالقول أن "الحكمة" هي في مقدمة كل الأفكار المعبر عنها في ألقاب بِكْرِ الخليقة كلها"** (22:1). غير أن هذا لا يعني أن لقب "الكلمة" ليس بالحاسم، فاللوغوس بالبحث، قد أجبر علم اللاهوت على أن يأخذ في حسابه وضع "كينونة مستقلة" لابن الله، ومن خلاله تُفحص كل الألقاب الأخرى (23:1).[2]]

إنه الكلمة، "**إذ هو المفسر لأسرار العقل الإلهي،**" أي هو "الطريق إلى الإلهام"[3].

ويستخدم أوريجينوس تعبير "اللوغوس" على أنه مصدر لفكرنا.

❖ **من خلال نشاطه في تنوير العالم، الذي هو نوره، يُطْلَقُ على المسيح لقب "نور العالم". ومن خلال دَفْعِهِ لأولئك الذين بإخلاص، يلصقون أنفسهم به، مُلْقين عن أنفسهم موتهم، لكي يقوموا مرة أخرى متجددين، يُسمى "بالقيامة". ومن خلال نشاطات من أنواع أخرى يُقال عنه أنه الراعي والمعلم والملك والعامود المختار والخادم. بالإضافة إلى ذلك فهو الباراقليط والكَفَّارَة. وعلى نفس النمط يطلق عليه "اللوغوس،" لأنه يُبْعِدُ عنا كل ما هو غير عقلاني، مُحَوِّلاً إيانا إلى عقلاء، حتى نفعل كل الأشياء حتى الأكل والشرب لمجد الله، مندفعين بواسطة**

---

[1] *Comm. on John 1:34 (ANF).*
[2] *Joseph c. McLelland: God The Anonymous, Massachusetts, 1976, p. 110.*
[3] *Charles Bigg: The Christian Platonists of Alexandria, Oxford 1913, p. 209.*

اللوغوس، نحو مجد الله في الأعمال العادية للحياة وفي تلك التي تنتمي إلى مرحلة أكثر تقدمًا[1].

- **إذا أخذنا في الاعتبار أن اللوغوس هو في البدء، الذي كان مع الله، وهو الله الكلمة، ربما يمكننا القول بأن الذي يشترك مع هذا الكائن في صفاته، يُمكن اعتباره عاقلاً (منطقيًا). بهذا في إمكاننا القول أن القديس هو وحده العاقل[2].**

المسيح هو النور

- **هو نفسه "نور العالم"، الذي يضيء أيضًا الكنيسة بنوره. فكما أن القمر يستمد ضوءه من الشمس، حتى يضيء به الليل، كذلك الحال في الكنيسة. فباستقبالها نور المسيح، يستنير كل من يعيش في ليل الجهل. لكن إذا أحرز شخص ما تقدمًا إلى حدٍ يطلق عليه فيه أنه "ابن النهار" لأنه "يسلك بلياقة كما في النهار" (رو 13:13)، "كابن النهار وابن النور" (1 تس 5:5)، فهذا الشخص يستضيء بالمسيح، كما يستضيء النهار بالشمس[3].**

المسيح هو الحق

- **الابن الوحيد هو الحق، لأنه متضامن في ذاته، طبقًا لإرادة الآب، مع كل عقل، حيث تكون كل الأشياء في وضوحٍ كاملٍ. ولأنه الحق، فهو يتصل بكل مخلوقٍ، كلٍ حسب استحقاقه[4].**

المسيح حكمة الله

يقول باسيل ستودر، أنه بالنسبة لأوريجينوس، فالابن هو الحكمة، كما أنه اللوغوس (الكلمة)[5]. هو الحكمة في علاقته بالآب. أما بالنسبة للعالم فهو اللوغوس، ينقل إليه معرفة الآب. [6]

يقول جوزيف مكليلاند أنه حتى لقب "الحكمة"، هو من أجلنا، فيقول: لأننا نعرف أن الحكمة هي الصفة الوحيدة التي تعتبر أزلية، إذن تواجهنا مشكلة واضحة في كلمات بولس في رسالته الأولى إلى أهل كولوسي 30:1 "المسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبرًا وقداسة وفداء". ففور حسمه لموضوع لقب "الأزلي" أو "المطلق"، يريد أوريجينوس أن يبين لنا أن كل الألقاب الأخرى قد اتخذتها الحكمة "من أجلنا"، بما يتوافق مع الاحتياجات البشرية، أكثر من أن تكون تعبيرًا عن حقائقٍ إلهية (في ذاتها). يشرح أوريجينوس كلمات بولس، بأنه أشار إلى فقرات أخرى تَطْلِقُ على الابن

---

[1] *Comm. on John, book 1:42.*
[2] *Comm. on John, book 2:!0.*
[3] *In Gen. hom. 1:5.*
[4] *In Joan 1:27 PG 14:73; R. Cadiou: Origen, Herder Book Co., 1944, p. 176.*
[5] *De Principiis 1:2:2.*
[6] *De Principiis 1:2:3; Basil Studer: Trinity and Incarnation, p. 80.*

لقب "الحكمة" (والقوة) بمعنى مطلق[1]. وعلى ذلك فأمامنا شكلان للتعبير: "**النسبي والمطلق**". أما فيما يتعلق بالألقاب الأخرى مثل التقديس والفداء، فليس أمامنا إلا الشكل النسبي. هدف أوريجينوس هو تمييز الألقاب الأعلى، شاملة الحكمة والكلمة والحياة والحق، عن تلك التي أعقبتها، "**وأخذها من أجلنا**". فقد أشبعت المشيئة الإلهية الاحتياجات والإمكانيات البشرية بتقديم مجموعه من الألقاب، حتى تقودنا على طريق تمتعنا بالبدء المطلق. نجده في فقرة أخرى، يقول: "**ما أسعد أولئك الذين في احتياجهم لابن الله، لم يحتاجوا إليه كطبيبٍ يشفي المرض وكَرَاعٍ ولا كفادٍ لكن في سماته "الحكمة" و"الكلمة" و"البرّ"، أو أن وُجد أي لقب آخر يناسب الذين بلغوا في الكمال إلى حد إدراكه في صفاته الأكثر جمالاً**"[2].]

[وهناك تناظر بين الطبقتين: (المؤمنين البسطاء والكاملين)، **فيما يتعلق باللوغوس، فالبعض يتزين بالكلمة نفسه، والبعض بما يأتي بعده، وما يبدو لهم أنه الكلمة هي أصل اللوغوس نفسه. هؤلاء لا يعرفون إلا يسوع المسيح، وهو مصلوبًا، ويدركون الكلمة كجسدٍ**". فاللوغوس "**ليس هو على الأرض كما هو في السماء: فعلى الأرض صار جسدًا، ويتكلم من خلال الظل والمثال والصورة**". ويختتم أوريجينوس: "**الجموع إذن، ممن يظن أنهم مؤمنون، هم تلاميذ لظل الكلمة، لا لكلمة الله الحق، الذي هو في السماء المفتوحة**"[3].] [الكلمة هو اللبن للمسيحيين الذين مثل الأطفال، وهو الخضراوات للضعفاء، وأخيرًا الطعام القوي للمنشغلين بالكفاح الإيجابي. فالشكل القوي "للخبز الحي" هو غذاء روحاني يشْتَرك فيه مع الملائكة ويؤلهه[4].]

المسيح هو الطريق

- **بغير افتخار، من الواضح أنه ليس هناك ما هو أفضل من أن يأتمن المرء نفسه في يدي الله الأَسْمىَ، وإن يُكَرِّسُهاَ للتعليم الذي يعرفنا أن نترك كل ما هو مخلوق، ويقودنا إلى الله الأَسْمىَ باللوغوس الحيّ غير المتغير**[5].

المسيح الملك

- **يرغب كل من ابن الله، ومن هو ضد المسيح، أن يحكموا. غير أن من هم ضد المسيح، يريدون أن يحكموا لكي يُدَمِّروا، بينما يريد المسيح أن يحكم لكي يخلص الإنسان. يملك المسيح على الذين هم مخلصين بكلمته وحكمته وعدله وحقه. ولكن، إذا كنا نفضل شهواتنا عن الله، فتكون الخطيئة هي التي تتملكنا، وكما يقول الرسول: "لا**

---

[1] *Comm. on John 1:39.*
[2] *Comm. on John 1:22; Joseph c. McLelland: God The Anonymous, p. 110-111.*
[3] *Joseph c. McLelland: God The Anonymous, Massachusetts, 1976, p. 111-112.*
[4] *Joseph c. McLelland: God The Anonymous, Massachusetts, 1976, p. 111-112.*
[5] *Contra Celsus 3:81.*

تُمَلِكَّن الخطيئة في جسدكم المائت" (رو 12:6). يوجد ملكان ينشدان المُلْك: إما الخطيئة و الشيطان اللذان يملكان الأشرار، أو العدل والمسيح الذين يملكان الأبرار. فربنا ومخلصنا يرغب بلا شك في أن يملك بالعدل والحق وبكل فضيلة. أنه لا يرغب في أن يُتَوَّج كملكٍ بغير احتمال الآلام (الصليب)[1].

المسيح هو ملكوتنا

هدفنا أن نحرز ملكوت الله في داخلنا الذي هو المسيح نفسه. إن أوريجينوس هو الذي قال أن يسوع هو الـ autobasileia، أي الملكوت في شخص[2]. وفي عمله: تفسير إنجيل متى Commentary on Matthew (14:12) يوضح أوريجينوس أن ملكوت السماوات هو "الفضائل" في مجموعها، وإن المسيح هو كُلّ فضيلة وكل الفضائل معًا.

- **يتحدث هنا عن نفسه كملكوت الله، فهو الملك والله[3].**
- **طالما أن يسوع المسيح، الكلمة الإلهية، الذي كان منذ البدء مع الله، لا يسكن في نفسٍ ما، فملكوت السماوات ليس في هذه النفس. أما حينما يصير المرء مستعدًا لاستقبال تلك الكلمة، فيكون ملكوت السماوات في متناول يده[4].**

المسيح الخبز السماوي

- **يقول الكتاب: "وفي الصباح تشبعون خبزًا" (خر 12:16). كلمة الله هو أيضًا خبز لنا، إذ هو "خبز الله النازل من السماء، الواهب الحياة للعالم" (يو6:33، 51). لكن حقيقة القول بأن هذا الخبز قد أُعطي "في الصباح"، في حين نقول أن مجيئه في الجسد قد حدث في المساء، يمكن فهمها فيما أرى كما يلي: أتى الرب في مساء العالم المُتدهور، وقُرْبِ نهاية مساره الخاص. ولكن مجيئه، من حيث أنه "شمس البرّ" (ملا 4:2 *LXX*؛ 3:20)، قد أحيا يومًا جديدًا لمن آمن به. ذلك، لأن نورًا جديدًا للمعرفة قد أضاء في العالم، فقد جعل يومه، بوسيلةٍ ما، "صباحًا". أتى شمس البرّ بصباحه الخاص، فيه يُشْبِع بالخبز من يقبل وصاياه. بالإضافة إلى هذا التفسير، يمكننا أيضًا فهمه على أنه صباح وبدء اليوم لكل شخصٍ، بدء استنارتنا واقترابنا من نور الإيمان. لذلك في هذا الوقت، إذ نكون مازلنا في مرحلة المبادئ الأولى، لا نستطيع أن نأكل من جسد الكلمة، إذ نحن غير قادرين بَعْدُ على إدراك التعليم التام والكامل. ولكن، بعد تدريبٍ طويلٍ وتقدم كبير، حينما نقترب من المساء ونُدْفَعُ إلى هدف**

[1] *In Luc. hom. 30:1-3.*
[2] *Comm on Matt. 14:7; Michael Green: Evangelism in the Early Church, p. 51.*
[3] *In Luke hom. 32 on 10:9.*
[4] *Comm. on Matt. 10:14 on 13:52.*

الكمال، نكون قد صرنا قادرين أخيرًا على استيعاب الغذاء (القوي) والكلمة الكاملة. لنُسْرِع إذن إلى تقبل المنّ السماوي، الذي يُعْطِي لكل فم الطَعْمِ الذي يرغب فيه[1]. لنستمع أيضًا إلى ما يقوله الرب لمن يقترب إليه: "وكما آمنت يكون لك" (مت 13:8). لذلك، فإن تقبلت كلمة الله التي تسمعها في الكنيسة بإيمانٍ كاملٍ وتقوى، تكون لك هذه الكلمة كما تشتاق أنت. فعلى سبيل المثال، إذا كنت حزينًا يعزيك بقوله: "القلب المنكسر والمنسحق لا يرذله الله" (مز 17:50). وإذا فرحت أملاً في المستقبل، يزيد فرحك عندما تسمع: "افرحوا بالرب وابتهجوا يا أيها الصديقين" (مز 11:32). وإذا كنت غاضبًا، تهدأ عندما تسمع: "كفّ عن الغضب واترك السخط" (مز 8:37). وإن كنت في ألمٍ، يُبْرِئُك سماع: "الرب يشفي كل أمراضك" (مز 3:103). وإن كنت منسحقًا بالفقر، تتعزى حينما تسمع: "الرب المقيم المسكين من التراب، الرافع البائس من المزبلة" (مز 7:103). إذن المنّ الذي يعطيه لك كلمة الله، يكون في فمك بالطَعْمِ الذي تشاءه[2].

❖ هناك كثيرون يقولون عن اللوغوس الذي صار جسدًا حقيقيًا، من يأكله يحيا بكل تأكيد إلى الأبد. لن يستطيع ذلك شخص غير مستحق الأكل منه. إذ لو أمكن لمن يستمر على عدم استحقاقه أن يأكل منه، أي من ذاك الذي صار جسدًا، وهو اللوغوس والخبز الحي، فما كُتب: "إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يو 51:6)[3].

❖ ماذا يغذي النفس إلا الكلمة، وما هو ثمين لعقله أكثر من حكمة الله؟[4]

المسيح كخادم

❖ مرة أخرى، ليتأمل المرء كيف كان موقف يسوع من تلاميذه. لم يكن كمن يجلس إلى المائدة، بل كمن يَخْدِم. كيف، وهو ابن الله، أخذ شكل العبد من أجل تحرير من استعبدتهم الخطية، ولم يجد غضاضة إذ يخاطبه الآب: "أنت عبدي" (إش 3:49)؟ بعد قليل يقول: "قليل أن تكون لي عبدًا" (إش 6:49). لذلك لا نتردد في القول أن صلاح المسيح يظهر في ضوء أعظم، وأكثر بهاءً، وأكثر قربًا من صورة الآب، لأنه "وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (في 6:2، 8)، أكثر مما لو كان قد تَمَسَّك بالمساواة مع الله، ونَفَرَ من أن يصير خادمًا من أجل خلاص العالم[5].

---

[1] *(Cf. Origen Comm. Matt.., Ser. 100 where he relates the differing tastes of the manna to Wis 16.20-21. It was a common Rabbinical tradition that the manna had the particular taste that each person eating it wished (Mekilta de-Rabbi Ishmael, Vayassa' ch. V; Midrach Rabbah, Exod. 25.3; Yoma 75a.)*

[2] *In Exodus hom. 7:8 (Cf. Ronad E Heine- Frs. of the Church, vol. 71.)*

[3] *Commentary on Matthew, Book 11: 14 (Cf. ANF).*

[4] *On Prayer 27:2.*

[5] *Comm. on John, book 1:37.*

المسيح هو "الأردن"

❖ **كان نعمان غاضبًا (2 مل 5: 11)، إذ لم يدرك إن "أردننا" هو المُطَهِّر للذين نَجَّسَهُم البَرَص، ويعيدهم إلى الصحة. إنه الأردن الذي يفعل ذلك، وليس النبي. فمهمة النبي قاصرة على الإرشاد إلى جهة العلاج[1].**

❖ **كما أن التنين كان في نهر مصر، الله في النهر الذي يُفْرِحُ مدينة الله، فالآب هو في الابن. لذلك فالذي يأتي للاغتسال فيه ينفض عن نفسه الخزي، ويصير لائقًا للتجديد[2].**

المسيح كنزنا الخفي

❖ **الأمور السماوية، حتى الملكوت السماوي أو المسيح ذاته، ملك الدهور، هي في مجملها ملكوت السماوات المُشَابِهَةً لكنز "مخفي في الحقل" (مت 13:44)[3].**

❖ **أية كنوز؟ قارن الكلمات "المُذَخَّرُ فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو 2:3). فتلك الكنوز هي في المسيح. من نَبْعِهِ تأتي "الريح" بأنواع مختلفة من المواهب: للبعض مواهب حكمة، وللبعض مواهب علم أو مواهب إيمان، ولآخرين أيًا من نعَم الله (1 كو 12:8)[4].**

المسيح شمس البرّ

يقول أوريجينوس في تعليقه على وقوف الشمس فوق جبعون في أيام يشوع، كي ينتقم الشعب من أعدائه (يش 12:10–14)، أن ذلك كان رمزًا لعمل مخلصنا الذي يُحَوِّل حياتنا إلى نهارٍ ممتد حتى نحصل على النصرة الأخيرة على العدو.

❖ **نود أن نشرح، إن أمكننا، كيف ينشر يسوع النور، ويطيل النهار، لخلاص نفوسنا وتدمير قوى الشر. تشرق الشمس دائمًا، ولا يدركها غروب، أي شمس البرّ الذي يشرق بنور الحق في قلوب المؤمنين. وعندما يكتمل عدد المؤمنين، يأتي الشر في الجيل الأخير الذي تَبْرُدُ فيه محبة الكثيرين بسبب ازدياد الأنانية، والافتقار إلى البرّ. عندئذ لن يبقى سوى القليل من المؤمنين، "وتُقَصَّرُ الأيام" (مت 22:24). نعم، الله وحده يعلم طول النهار في وقت الخلاص، وقِصَر الوقت عند المحن والضياع. بالنسبة لنا، دعونا نسير بتقوى طوال ضوء النهار،**

---

[1] *Comm. on John, book 6:28.*
[2] *Comm. on John, book 6:29.*
[3] *Comm. on John, book 1:40.*
[4] *In Jer. hom. 8:5 on 10:3.*

مُنْجِزِين أعمال النور، مادام لنا النهار، وامتد لنا وقت النور[1].

❖ دعونا نصارع أعداءنا "تتصارع مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف 12:6). لن يَكُفَّ شمس البرّ عن مصاحبتنا، فهو لن يتركنا. إنه ليس في عجلة لغروب الشمس، فكما يقول: "ها أنا معكم كل الأيام" (مت 20:28). إنه ليس معنا في يوم الشِّدَة فحسب، بل كل الأيام، حتى إلى انقضاء الدهر، إلى أن ننتصر على أعدائنا[2].

المسيح حمايتنا

❖ نحن نعيش تحت ظل نعمة المسيح[3].

❖ الذي يتمثل بالمسيح هو صخرة[4].

المسيح، مصدر النصرة

❖ لا يفتخر أحد بانتصاره، أو يعزو ذلك إلى شجاعته الشخصية، بل لعلمه أن يسوع هو مانح النصرة "لا يسن أحد لسانه" (يش 21:10). لقد فهم الرسول ذلك عندما قال: "لا أنا بل نعمة الله التي معي" (1 كو 10:15). ليت الله يرشدني (بعد فوزي في معركة الحياة). أن لا أعزو انتصاري إلى فضلٍ مني، بل إلى صليبه[5].

❖ يسوع، هو الذي يقضي على الرذائل التي في داخلنا، ويُسقط أكثر ممالك الشر فسادًا[6].

المسيح راحة نفوسنا

❖ لا يقول الكتاب: "واستراحت الأرض من الحرب" في أيام موسى، بل في أيام يشوع "يسوع" (يش 23:11). فمن المؤكد أن "إقليم" حياتنا الخاصة، أعني ميدان كفاحنا ومِحَنِنَا، لن يستريح من الحرب إلا بقوة يسوع. لأن ما بداخلنا هي قبائل من الرذائل التي تحاصر النفس[7].

---

[1] *In Jos. hom. 10:3.*
[2] *In Jos. hom. 10:5.*
[3] *Sel Lament. 4:20.*
[4] *Fr. Malaty: Luke, p. 358.*
[5] *In Jos. hom 12:2.*
[6] *In Josh. 15:4.*
[7] *In Josh. Hom. 1:7.*

المسيح عريس النفس

❖ **يُدعى المسيح عريس النفس، الذي تقترن به النفس يوم تأتي إلى الإيمان[1].**

المسيح وتوضيح سر الكتاب

❖ **إنه هو الذي "يوضح الكتب" (لو 32:24)، وهكذا يُلهب قلوب التلاميذ[2].**

الأنبياء والسيد المسيح

يرى أوريجينوس أن العديد من الأنبياء تقبلوا نعمة المسيح، إذ اشتهوا أن يروه خلال معرفتهم للرمزية.

المسيح وروح النبوة

❖ **المسيح هو الذي وهبنا روح النبوة[3].**

لنحمل يسوع المسيح

يكشف سمعان الشيخ عن حاجة البشرية إلى الدخول في هيكل الرب بقيادة الروح القدس، فيُحمل يسوع المسيح بين أيديهم، حتى يتم إطلاقهم من سجن هذا العالم.

❖ **لم يدخل سمعان الهيكل مصادفةً، إنما قاده روح الله إليه. أنت أيضًا أن أردت أن تقبل المسيح، وتحتضنه بين يديك، فتصير مستعدًا للانطلاق من السجن، لتسعَ إذن أن يقودك الروح لِيُدْخِلَكَ إلى هيكل الرب، فالمسيح هو بداخل الكنيسة، في الهيكل الذي يُبني من حجارة حية[4].**

❖ **أرسل الكلمة الواحد أشعته التي تصل إلى نفوس الراغبين في استقباله[5].**

نمو المسيح

❖ **بقدرته التي بها أخلى ذاته، فهو أيضًا ينمو. قد بدا ضعيفًا، إذ اتخذ جسدًا ضعيفًا، ثم نما ليَقْوَى. أخلى ابن الله ذاته، وبنفس القوة امتلأ بالحكمة، وكانت نعمة الله معه[6].**

---

[1] *In Gen. Hom. 10:4.*
[2] *In Exod. hom. 12:4.*
[3] *Sel. Lam. 4:20.*
[4] *In Luc. hom. 15:3.*
[5] *Contra Celsus 6:79.*
[6] *In Luc. hom. 19:2.*

لنطلب يسوع، ونكونْ من أقاربه

❖ طلبت القديسة مريم والقديس يوسف يسوع المسيح بين الأقارب والأصدقاء، لكنهما لم يجداه. إننا لا نجد يسوع ونحن بين الأقارب والأصدقاء حسب الجسد. لا نجده في العائلة حسب الجسد. إنني لا أجد يسوعي بين الجموع. بل أطلبه في هيكل الله. أطلبه في الكنيسة. أطلبه بين المُعَلِّمين الذين يلازمون الهيكل، هناك أجده. دعونا نطلبه بجهدٍ كبيرٍ، نطلبه معذبين، فسنجده، كما قال الكتاب: "هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين" (لو 2:48). لا تطلبه بتوان وكسلٍ وترددٍ، كما يفعل البعض فلا يجدوه[1].

❖ إن حدث يومًا أنك فقدت ابن الله، أطلبه أولاً في الهيكل. لتسرع إلى الهيكل، هناك تجد يسوع الكلمة والحكمة[2].

---

[1] *In Luc. hom. 18:4.*
[2] *In Luc. hom. 19:4.*

المحتويات

مسيحنا محب البشر ١

يسوع المسيح: المسيح محب البشرية. ٣

لاهوت السيد المسيح: ابن الله الأبدي. ٥

التجسد الإلهي: التجسد ولاهوت السيد المسيح، يسوع المسيح صار إنسانًا حقيقيًا، شكل جسده، للمسيح نفس بشرية، أهداف التجسد: الهدف الأول: يربطنا به، الهدف الثاني: يجدد طبيعتنا، الهدف الثالث: يُمنح الإنسان النصرة على الخطية، الهدف الرابع: **يمنحنا النصرة على الموت**، الهدف الخامس: **يمنحنا المعرفة**، الهدف السادس: يَهْدِي الأمم، الهدف السابع: نقبله رأس جنسنا، استمرارية صلاح يسوع، التجسد والملائكة، مجيء المسيح مرتين. ٨

يسوع المسيح وخلاصنا: الحاجة إلى الخلاص، مفهوم الخلاص، 1. الخلاص والاستنارة، 2. الخلاص والمصالحة مع الله، 3. الخلاص وهزيمة الشيطان، 4. الخلاص والطاعة للمعلم الإلهي، 5. الخلاص والشفاء من عبودية الفساد، 6. الخلاص والتمتع بالكفارة، 7. الخلاص والسمو بالمسيح إلهنا، 8. الخلاص وتمجيد المؤمنين، موت المسيح كذبيحة كفَّارية، ذبيحة المسيح والذبائح الحيوانية، ذبيحة المسيح من أجل الخطيئة، طبيعة الذبيحة التي قَدَّمَها المسيح، المسيح هو الكاهن الأعظم، سرّ الصليب، الصليب رمز للحب الإلهي والنصرة على الشيطان. ٢٠

يسوع المسيح كفايتنا: المسيح كمشبع النفوس، ألقاب المسيح، كفايته للمبتدئين وللناضجين روحيًا، المسيح هو الخيرات كلها، المسيح هو البداية والنهاية، المسيح اللوغوس، **المسيح هو النور**، المسيح هو الحق، المسيح حكمة الله، المسيح هو الطريق، المسيح الملك، المسيح هو ملكوتنا، المسيح الخبز السماوي، المسيح كخادم، المسيح هو "الأردن"، المسيح كنزنا الخفي، المسيح شمس البرّ، المسيح حمايتنا، المسيح، مصدر النصرة، المسيح راحة نفوسنا، المسيح عريس النفس، المسيح وتوضيح سرّ الكتاب، الأنبياء والسيد المسيح، المسيح وروح النبوة، لنحمل يسوع المسيح، نمو المسيح، لنطلب يسوع ونكون من أقاربه. ٣٥

المقتطفات التي بين يديك أيها الحبيب ليست للحوار الجدلي الجاف، وإنما لكي بالفرح والحب نقتنيه، فنسترد صورة الله فينا، وتصير حياتنا وعبادتنا حتى أفكارنا الخفية شهادة حيّة للحب الإلهي، نكسب الكثيرين برغبتهم في الالتصاق بمسيحنا محب البشر.

"عندما نتأمل في تلك الحقائق الهائلة والرائعة عن طبيعة ابن الله، تمتلكنا دهشة بالغة، إذ أخلى ذاته من مكانه السامي فوق الجميع، ومن منزلته الملكية، ليصير إنسانًا، ويعيش بين البشر. وهي حقيقة تشهد لها النعمة التي تدفقت على شفتيه، والشهادة التي نطق بها الآب السماوي عنه، كما أكدتها العلامات والعجائب التي أجراها. وقبل ظهوره الجسدي، أرسل الأنبياء كسفراء ومرسلين يعلنون عن مجيئه. أما بعد صعوده إلى السماء، فحَوَّل رسله القديسين البسطاء، وغير المتعلمين، من طبقة العشارين والصيادين إلى امتلاء بقوته الإلهية، حتى يجولوا في كل الأرض، ليجمعوا من كل أمةٍ ومن كل جنسٍ، شعبًا من المؤمنين المكرسين له. لذلك عندما نشاهد فيه جوانب تبلغ في إنسانيته إلى درجة لا تختلف كثيرًا عن الضعف السائد في القابلين للموت، ثم جوانب أخرى تبلغ في لاهوته ما لا يتمشى إلا مع الطبيعة الإلهية الأساسية الفائقة الوصف، يتحيّر الفهم البشري المحدود. تصدمه الدهشة أمام هذا الإعجاز الهائل، فلا يدري إلى أي طريق يتجه، أو إلى أي شيء يذهب. فعندما يفكر في الله يجد أمامه الإنسان، ومتى فكر في الإنسان، يرى أمامه من يقوم من الموت بعد قهره لمملكة الموت".